



القراءة

في فكر الإمام الشيرازي الراحل
«رفع الله درجاته»

بقلم:

سماحة العلامة الشيخ
عبد العظيم المهدي البحراني

مُحْفَوظَاتٌ جَمِيعُ حَقُوقِ

هوية الكتاب: ■

* الكتاب: القراءة في فكر الإمام الشيرازي رحمته الله.

* المؤلف: ساحة العلامة الشيخ عبد العظيم المهدي البحراني.

* الطبعة: الأولى: ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م.

* الإخراج الفني: الكليم جرافك:

✉ mohd.he@gmail.com

☎ +973 36577227



قال الله تعالى:

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

-سورة المجادلة ١١-

شعار المؤلف
الكتاب الجيد تقرأه مرّة ،
وتتحدّث عنه مرّات ، وتعمل به طول الحياة.

المقدمة

- أين محلّ القراءة في شخصيّة المرجع الموسوعي الراحل
ساحة المجدّد آية الله العظمى السيد محمد الحسيني
الشيرازي (رفع الله درجاته)؟
- وكيف كان يقرأ؟
- ومنذ متى من سنّيه عمره بدأ يقرأ؟
- وكيف كان أسلوبه في القراءة؟
- وهل كان يقرأ قراءةً سطحيّةً أو بعمقٍ وتفكُّرٍ؟
- وما هي نوعيّة الكتب التي كان يقرأها والمواضيع التي
كان يختارها للقراءة؟
- وأيّ الأوقات كان يفضّلها للقراءة؟

- وكم ساعة في اليوم كان يقرأ؟
- وهل كانت لديه استراتيجيّة فكرية محدّدة في مسيرته العلميّة ودعوته إلى القراءة والتزام الكتاب والإمساك بالقلم؟

إنّ الإجابة على هذه الأسئلة هي الغاية من تأليف هذا الكتيّب الذي وضعناه بين يديك .. وهو بحث يتكوّن من محورين وركائز ونقاط ومحطّات وخاتمة هامة..

بهذا السطور الجديدة أعود مرّة أخرى إلى هذه الشخصية الرائدة في سماء العلم والعطاء والعمل والإرتقاء والأخلاق والصفاء والإخلاص والنقاء .. هي شخصية فقيه موسوعي كان متقدّمًا على زمانه بالقول والفعل كما وصفه قادة الفكر المنحازون إلى الحقيقة...

لقد مرّت سبعة عشر عامًا على رحيله المحزن ومراجع الدين ويليهم السياسيون والمفكّرون والناس يغوصون في بحر متلاطم بالأزمات على كافّة الصُّعُد.. فما المشكلة لو تواضعوا وعادوا إلى أطروحات

المرجع الشيرازي الفكرية والفقهية والسياسية والمجتمعية
والحقوقية والإدارية والأخلاقية والأسرية لعلاج تلك
الأزمات التي أخذت تخرج عن السيطرة في أكثر بلدان العالم!؟

القراءة كفريضة في الحياة .. القراءة كمقدمة للعلم
بالواجبات .. القراءة كمسئولية من أجل الإسلام والأمة ..
قضية مركزية شغلت فكر الإمام الشيرازي الراحل وجعلته
لديه ضرورة دائمة تفرضها الحاجة إلى السعادة الإسلامية..
إذ بالقراءة وهي مفتاح العلم بمفاتيح الحلول سيجد القارئ
القطين كم أن الفكر الإسلامي الأصيل لازال وهّاجًا ولازال
طريقًا ولازال مستوعبًا لتراكمات الساحة وقادرًا على انتشار
كثيرين من التّيه لوتنازلوا عن عنادهم الشخصي تجاه هذا
الإنسان العظيم. كما وسيجد هذا القارئ أيضًا كم هو حجم
الخسارة التي مُني بها المسلمون في هذا العصر ولاسيما
أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام عندما مرّت مؤامرة التشويه
والتغيب لهذا المرجع الفقيه دون صوت مناهض للمؤامرة
حتى بين أنصاره المغلوبين على أمرهم غالبًا.

فلنقرأ من جديد الإسلام في تطلّعاته العصريّة عبر هذه

القراءة ولكن بعين الحقيقة وإنصاف الآخر من أنفسنا قرابةً إلى الله تعالى.

أللهم وفقنا إلى كل خير ونجاح وتقدم وفلاح إنك خير من استعان به العباد.

داعيكم: عبدالعظيم المهدي البحراني

تاريخ التأليف في البحرين:

٨/٨/٢٠١٨

تاريخ المراجعة الأخيرة في تركيا:

٨/٨/٢٠١٩

الموافق لـ ٦/ ذي الحجة/ ١٤٤٠

المحور الأول
وفيه ثلاث ركائز





الركيزة الأولى

أولاً.. القراءة بوصفها البداية للانطلاق:

عندما ندرس عناصر البناء العلمي والعملية في شخصية أيّ عظيمٍ من عظماء البشر نجد للقراءة حضوراً محورياً في التأسيس لكلّ نجاح لديه في حياته؛ ذلك باعتبار القراءة تشكّل الطريق الأول إلى اكتساب المعرفة، ومنها كانت حركة كل عظيم باتجاه التميّز عن غيره.

هذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد، إذ قال: «يا كَمِيلُ مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ»^(١).

وما عدا القراءة فإنّ للمعرفة مفاتيح أخرى، مثل الاستماع

١- تحف العقول - ابن شعبة الحرّاني/ ص ١٧١.

والتفكير. وأما الوحي فإنه مفتاحٌ خاصٌّ للمعرفة بالنسبة
للأنبياء ويقترّب منه الإلهام الربّاني للأوصياء. ومع ذلك تبقى
القراءة حتى عند هؤلاء هي البداية للانطلاق المَعْرِفِيَّة التي
تؤسّس لحركة الإنسان والمجتمع والأمة نحو القيم الفاضلة؛
ولذلك كانت القراءة هي النداء الأول للوحي الذي نزل على
قلب النبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ *
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمُ﴾^(٢).

وتفيد الآية أنّ القراءة من أهم أدوات المعرفة السليمة
المؤدّية إلى الحركة السليمة إذا كانت ربّانيّة المحتوى والمنهج
والهدف.

ولذا قيل: إنّ شرف القراءة بشرف غاياتها ومقاصدها.
وهو ما يؤيده قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً
طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا
كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ

٢- سورة العلق / ٥ - ١

مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٣﴾.

بهذه الرؤية قدّم الإسلام نظرتَه الحضاريّة في ترشيد
الأُمَّة على مسار الخير والعطاء والعزّة والرّخاء والمجد والهناء
لتكون أُمَّة عالمّة صالحة تتجنّب الاصطفاف مع الأمم الجاهلة
الفاسدة.

ومن هنا جاء حثُّ الرسول الأكرم ﷺ والأئمة
من أهل بيته عليه السلام المسلمين على طلب العلم النافع
والاهتمام بالمعرفة الصحيحة واحترام العلماء العاملين في
نشر الوعي العام بين الناس وتأييد دعوتهم إلى مبادئ
التغيير من أجل الحياة الطيّبة، مؤكّدين عليه السلام على مبدأ
القراءة الواعية.. ومنها قد انطلق علماء وفقهاء وعظماء
الإسلام في العمل بقول الرسول الأعظم ﷺ: ﴿أُغْدُ
عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا أَوْ مُجَبًّا، وَلَا تُكُنِ الخَامِسَ
فَتَهْلِكُ﴾ (٤).

وفي العمل بما قاله حفيده الإمام علي بن الحسين زين

٣- سورة ابراهيم / ٢٧ - ٢٤

٤- عوالي اللثالي - ابن جمهور الاحسائي / ج ٤ - ص ١٥

العابدين عليه السلام: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَطَبَّوهُ وَلَوْ بِسِنْفِكَ الْمُهْجِ وَخَوْضِ اللَّجَجِ. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ دَانِيَالًا: إِنَّ أَمَقَّتْ عَيْبِي إِلَى الْجَاهِلِ الْمُسْتَخْفِ بِحَقِّ أَهْلِ الْعِلْمِ التَّارِكِ لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَإِنَّ أَحَبَّ عَيْبِي إِلَيَّ التَّقِيُّ الطَّالِبُ لِلثَّوَابِ الْجَزِيلِ اللَّازِمِ لِلْعُلَمَاءِ التَّابِعُ لِلْحُلَمَاءِ الْقَابِلُ عَنِ الْحُكَمَاءِ»^(٥).

وهكذا كانت الأمم المتقدمة والحضارات التي شيدت عبر التاريخ؛ حينما احترم رجالها القراءة وأعطوا الكتاب مكانته ومنحوا العلم قيمته واهتموا بالقلم والتأليف والنشر وأشادوا بالعلماء الحقيقيين والمؤلفين الصالحين، فاكتشفوا بذلك سنن التقدم في الحياة ومسالك التطور الإنساني. بينما على عكسهم كانت الأمم المتخلفة.. غارقة في الجهل.. نابذة قيم العلم.. غير مهتمة بالمعرفة ورجالها.

وهكذا أيضًا مُدَّ ترك المسلمون القراءة وقطعوا على أنفسهم السبل الصحيحة للمعرفة، فأطبق عليهم الجهل والتناحر وتخلّفوا حتى لم يميّزوا بين المنكر والمعروف، وهو ما تنبأ به الرسول الأعظم ﷺ لما خطب في أصحابه ذات يوم قائلاً: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا فَسَدَ نَسَاؤُكُمْ وَفَسَقَ شُبَّانُكُمْ، وَلَمْ تَأْمُرُوا

٥ - الكافي - الشيخ الكليني / ج ١ - ص ٣٥

بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ تَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ؟! قِيلَ لَهُ: وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ
 اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ. وَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ
 وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ؟! قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ؟
 قَالَ: نَعَمْ وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ. وَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا
 وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟! (٦)

ما كان هذا الانقلاب في المفاهيم الثقافية ليحدث في الأمة
 الإسلامية لولا انقلابها عن القراءة الصحيحة للدين كمنهج
 حياة تواكبها التنمية المعرفية المستدامة، ولكنها انقلبت على
 مفاهيم الحق منذ يومها الأول بعد وفاة نبيها الكريم وجثمانه
 الطاهر بعد لا يُوارى الثرى، فصدق عليهم قول الله تعالى:
 ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ
 قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ
 شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٧).

ثانياً.. القراءة بوصفها من الواجبات الحضارية:

إنني عشتُ عامين وشهوراً بالتوالي في الدنمارك ثم عامين
 وشهوراً على نحو متقطع.. ثم كانت لديّ سفرات متعددة إلى

٦- قرب الاسناد - الحميري القمي / ص ٥٤

٧- سورة آل عمران / ١٤٤

دول أوروبية للتبليغ ولقاء المبلّغين هناك..

مثل الدنمارك واسبانيا والسويد والنرويج وألمانيا وبريطانيا
وفرانسا..

في كل تلك السنوات والسفرات قليلاً ما شاهدتُ شعوب
هذه البلدان يجلسون في القطارات أو الباصات أو الطائرات
أو صالات الانتظار في العيادات والمستشفيات والمحطات
ولم يخرجوا من حقائبهم كتاباً أو كتيباً أو مجلةً أو صحيفةً
ليشغلوا أنفسهم بالقراءة.. بينما كثيراً ما شاهدتُ الشرقيين
المهاجرين إلى تلك البلدان يجلسون في نفس تلك الأماكن
وهم ينظرون يميناً وشمالاً أو ينامون أو يمرحون ويسخرون
مع زملائهم إن كانوا معهم!!

منذ تلك الفترة كنتُ أودّ معرفة السبب وراء هذه المفارقة
العجيبة بين هؤلاء وهؤلاء.. قومٌ يحبّ أكثرهم القراءة وقومٌ
يحبّ أكثرهم التلهّي والمسلمون يشكّلون الجزء الأكبر من
هؤلاء.. كنتُ أتفقّد السبب وراء هذه المفارقة حتى وجدتُ
مقالاً بقلم «هومونتغمري» نشرته «بي بي سي» العربية
بعنوان: (العلاج بالقراءة) وهل تُحسّنُ قراءةُ الكتبِ الصّحّة
العقلية والذهنية للفرد؟ فوجدتُ فيه بعض أسبابٍ فسّرتُ لي

بعض الجواب على تساؤلي. ثم وصلني مقالٌ آخر مكملٌ له.

سأقطف سِتَّ نقاطٍ من هذا المقال المهم بأمل أن تصنع دافعاً لدى البعض لممارسة القراءة كواحدة من الواجبات الحضارية.. ولا سيما أمة ﴿إِقْرَأْ﴾ التي تركت القراءة فجهلت فتصحّرت فتخلّفت حتى استغلّت شرّ استغلال من أمم طمعت في ثرواتها فتكالت عليها وآخرون ضحكوا منها ولا زالوا يضحكون وهي لازالت على أسوء حالها.. كما سأنقل المقال الثاني أيضاً لنعرف خلفيّة حبّ القراءة عند أغلب الغربيين.. ثم أترك الحكم للقارئ اللبيب (كشّر الله أمثاله).

المقال الأوّل:

١/ عندما تزداد المصاعب في حياتنا فإن الحل يكمن في القراءة. قد يبدو الأمر غير بديهي، لكن الجلوس ومطالعة عمل أدبي جيد قد يكون أفضل وسيلة يلجأ إليها الفرد.

٢/ السؤال كيف تساعدك قراءة الكتب في إعادة التوازن لنفسك؟

بدايةً، إنها توفر شكلاً من أشكال الهروب أكثر بكثير مقارنةً بأيّ عمل فنيّ آخر.

ففرءة أفرءفها بف بف سف بفناء على لفنة ففضم «أفرءاء العلاف
بالقرءاءة»، وهم معاللون فسفءفمون الكفب كفرء من
العلاف، وهي من ضمن أهم فوففاءهم لفءءة أف نفس
مضطربة وإزالة الفوفر منها وإعاءة ففشففها.

فالأفءفار الفصفف لفنوع من الأعمال الأفءفة ففعل الفرفء سعفءاف
كما ففءء ففرفه ففاه العالم.

٣/ السؤال كيف فمكن للكتاب أن فعفء الفوازن للفنس؟

فف ففءة فوفوففة.. فسففع الروافاء من ألال فبكفها
إرساء فواء ففظم العقل الفف فعافف من الففف.

إن فضمفن المرء نفسه فف فبكة معقدة فسعى إلى حلها وفنفر
فف ذلك ففعد فشاطاف فسففع الشفص به أن فعزل ذاته عن
الفنن الفف ففوفف فف عقله.

٤/ رافة فف الففرار.. إذ فمكن أفصاف أن فوفر إعاءة قرءاءة
الروافاء المفصولة نوعاف معفناف من العلافاء بالقرءاءة، على
فحو فسفح للشفص بفقففم نفسه من ففهة ففر أففر
اسفنارة.

العوءة مراراف وففراراف إلى كتاب على مدار ففءاف أمر مففء

بشكل لا يُصدّق، إذ تتعرّف على ذاتك بشكل أفضل، لأنك تزور طبقات داخلية تكوّنت بداخلك على مدار سنوات كأنك تُعاين بَصَلَة.

٥ / مساعدة العقول الصغيرة. وإذا أولينا الاهتمام بصغار السن، نرى أن الأدب المقروء يلعب دوراً مهماً في معالجة أزمة الصحة العقلية لدى صغار السن، والتي أصبحت جزءاً من نقاش على الساحة الدولية.

وتزداد روايات تستهدف صغار السن وتساعد المراهقين في التعامل مع مشكلات يواجهونها في حياتهم اليومية، من التئمّر إلى المخدّرات إلى قضايا المتحوّلين جنسياً وقضايا الاقصاء من المجتمع.

وتقول «بيرثود»: «أعتقد أنّ الكتاب، كما قال «كافكا» يمكن أن يمثّل الفأس التي تهشم البحر المتجمّد بداخلنا، وهي مقولة تصدّق في أيّ عمر.

٦ / هل الكتابة مفيدة أيضاً للنفس؟

إذا كانت القراءة تميّز بفوائد لتحسين الصحة النفسية، فماذا عن الكتابة؟

يعترف «ويتل» و«بورتون» أن حياة الكاتب يمكن أن تكون حقبية مختلطة المحتويات من منظور الصحة العقلية والذهنية. إذ يمكن أن تمثل طريقة رائعة في التعامل مع الصدمات العاطفية والقضاء عليها... بيد أن رؤية التأثير الذي يمكن أن يُحدثه أيُّ كتاب على سعادة القراء وهو بدوره أفضل شيء يسعد الكاتب.

المقال الثاني:

يقول كاتبه.. خلال هذا الأسبوع زرتُ قصرين في مدينتين مختلفتين في ولاية «مانيسوتا» الأمريكية، قصر «قلنشين» لأحد العوائل الثرية جداً في مدينة «دولوث»، وهذا القصر اكتمل بناؤه عام ١٩٠٧م، وبلغت تكلفته حوالي ٢٢ مليون دولار (بقيمة الدولار حالياً)، سقف غرفة الاستقبال مطليّ بالذهب، وكلّ شيء في القصر مُصمّم بعناية فائقة وبموادٍ فاخرة، والقصر يقع وسط حديقة غناء تطلّ على بحيرة «سوبيريور». وأما القصر الآخر فهو مبنيّ في وسط مدينة «منايابوليس» لأحد الأثرياء من أصل سويدي، وقد تمّ بناؤه في عام ١٩٠٨م بتكلفة حوالي ٤٢ مليون دولار (بقيمة الدولار حالياً)، والآن هذا القصر يتبع المعهد الأمريكي السويدي حيث تُقام فيه

مناسبات علمية كثيرة.

ما لفت نظري في كلا القصرين أن هناك غرفةً مخصّصة كمكتبة كبيرة تضمّ مئات المجلدات، هنا توقفتُ لحظات للتأمل في هذه المكتبة، وتساءلت:

- لماذا يا ترى هذا الإهتمام بالكتب؟
- هل هي جزء من ديكورات القصر؟
- وهل المقصود منها خلق انطباع جيد عن صاحب القصر عندما يزوره أصدقاؤه؟
- أو هل فعلاً القصد من المكتبة هو القراءة والتعلّم؟
- ولماذا يريد هذا الثري أن يتعلّم إذا كان يملك الثروة التي تحقّق أحلامه؟
- أو هل يريد إعطاء انطباع بأنه متعلم كي ينال احترام الآخرين؟
- أليس المال هو من يصنع الجاه ويخلق الإحترام عند الآخرين؟

خلال تجولي بالمكتبة في قصر «قلنشين» لاحظتُ إحدى

اللوحات الإرشادية تشير إلى غرفة المكتبة التي كانت من أكثر الأماكن استخداماً في القصر، حتى أن الأطفال إذا ما أرادوا البحث عن الكبار يذهبون مباشرة لغرفة المكتبة، ولم يكتفِ صاحب القصر بقراءة الكتب، وإنما كان يكتب رأيه وانطباعه الخاص عن الكتاب الذي يقرأه، وقد وُضعتُ صورةٌ لإحدى الأوراق التي كتبها صاحب القصر بخط يده عن رأيه في أحد الكتب التي قرأها.

لم تكن في القصر مكتبة واحدة فقط، وإنما توجد مكتبة صغيرة في كلِّ غرفةٍ بالقصر سواء للكبار أو الصغار.

في المجتمعات المتقدمة تُعتبر ثقافة القراءة جزءاً لا يتجزأ من نمط حياتهم اليومية، فهذا «وورن بافيت» وهو ثاني أغنى رجل في العالم يقرأ خمسمائة صفحة يومياً، وكذلك العبقرى «إيلون ماسك» صاحب سيارة «تيسلا» و«سبيس اكس» لصناعة الصواريخ يقرأ كتاباً كل يوم وكتابين كل يوم في عطلة الأسبوع منذ أن كان في الثانوية، وكذلك الحال مع أصحاب الشركات العظمى والذين لا يكتفون بقراءة الكتب بل يستضيفون المؤلفين عندهم في مكاتبهم كما تفعل شركة «قوقل» و«فيسبوك» وغيرهم، والأمثلة كثيرة عن الأثرياء

الذين لا تُفارق أعينهم الكتاب.

هناك انطباع عند كثير من الناس في مجتمعنا بأن الثروة والعيش في الحياة المادية الرغيدة قد تُعَيِّق فرص القراءة والتعلّم، وكأنّ التعليم هو مجرد وسيلة وليس غاية بحدّ ذاته، فالهدف من التعلم عند البعض هو جلب المادة، فإذا ما تمّ تحقيق هذا الهدف توقّف الفرد عن القراءة والتعلم.

في الحقيقة لا يوجد أقبح من الجهل في تشويه صورة الإنسان، فكما أن الغذاء الجيد يُحسّن من صحة الإنسان وصورته، وأن سوء التغذية والمجاعة تُشوّه شكل الجسم وتوهن الصحة وتُعطلّ وظائف أعضاء الجسم، فالجهل هو بمثابة المجاعة للعقل، والخرافة هي بمثابة سوء التغذية له، وكلاهما يُشوّهان صورة الإنسان المعنوية ويُعطلان وظيفة أهم عضو عنده، ألا وهو الدماغ.

ما أقبح الغنيّ الذي يسكن البيوت الفارهة ويلبس الثياب الفخمة ويأكل الطعام اللذيذ ولكنه يُعطي العين العمياء والأذن الصمّاء لغذاء العقل والروح. لا لوم على الفقير في جهله، فلربما شغل ذهنه شظف العيش عن الإلتفات للتعلم والقراءة، ولربما يقضي وقته وجهده في البحث عن رزقه، أو

قد لا يستطع الوصول إلى الكتاب لقلّة ذات اليد، ولكن ما
عذر الغني الذي يملك الثروة والوقت والطاقة وهو يقبع في
برائن الجهل والتخلف؟!!

الركيزة الثانية

الشيرازي والقراءة التأسيسية

لقد أدرك الفقيه الموسوعيّ المجدّد سماحة المرجع السيّد محمد الشيرازي (قُدّس سرّه الشريف) تلك الأسس الأولى في بناء شخصيّته منذ قد وعى الحكمة من وجوده في هذه الحياة وهو في الخامسة من باكورة عمره، وقد ساعده على هذا الوعي المبكّر كونه من بيت مشهور من بيوت العلم والتقوى والدين والجهاد؛ فكان منذ صغره مُحاطاً بأجواء الطمّوح الإسلاميّ المتقدّم وعدم الاشتغال باللّهو واللّعب وحرّق الوقت في غير النافع وما لم يكن محلاً لرضى الله تعالى. بل كان موضع اهتمام خاصّ من والده المرجع المقدّس الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (رفع الله درجاته) المعروف بورعه وعباداته وفقاهته وسجاياه الأخلاقيّة التي شهد بها الجميع، فما أن اكتشف هذا النبوغ في نجله حتى سارع إليه بالتعليم الدقيق والرعاية

الخاصة انطلاقاً من وصية جدّه الإمام عليّ لولده الإمام الحسن
 ﷺ: «وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ
 شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرَتْكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَسْتَعْلَلَ
 لُبُّكَ»^(٨).

كان هذا هو الحجر الأساس الذي أقام عليه سماحة السيّد
 الشيرازي بنيانه العلمي والعملية في البداية الصحيحة.. ومنها
 فقد شمر عن ساعديه لطلب العلم يوم وعى جيّداً مثل قول
 ربّه تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٩)، ويوم وعى ما يرمي إليه
 قول ربّه - عزّ وجل - : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا
 يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
 وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١٠)، فجَدَّ جدّه
 على ضرورة الارتقاء إلى مدارج المعرفة كلّما كان يطرق سمعه
 أيضاً مثل هذا الحديث المروي عن جدّه رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا
 نَاشِئٌ نَشَأْ فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ حَتَّى يَكْبُرَ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ ثَوَابَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ صِدِّيقًا»^(١١).

٨- نهج البلاغة - محمد عبده/ ج ٣ - ص ٤٠

٩- سورة المجادلة / ١١

١٠- سورة الزمر / ٩

١١- بحار الانوار - العلامة المجلسي / ج ١ - ص ١٨٥

هكذا تحوّلت القراءة عند هذا السيّد النبيه صاحب
الذهن الوقّاد إلى معشوقة مشروعة ، فبدأها من قراءته للقرآن
الكريم حتى أكمل حفظه كاملاً وهو ابن سبع سنين آنذاك،
وكان انفتاحه على الفضاء القرآني ممزوجاً بانفتاحه على سيرة
الرسول الأعظم محمد ﷺ وسيرة أوصيائه الأئمة المنتجبين
عليهم السلام، فأخذ أيضاً يطالع في أقوالهم الصادقة ويتفكّر في
قصصهم الهادفة ويدرس علومهم الحوزويّة الجامعة حتّى
امتزج نور الثقلين بذرات وجوده الروحي والنفسي امتزاجاً
صاغ به سلوكه الربّاني فصار من عباد الله الشكورين الذين
استوعبوا الآية الكريمة: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١٢) وكان
من دعائهم: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١٣) كما كان قول الإمام
عليه السلام أيضاً: «أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، أَلَا لَا
خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا
تَفَكُّرٌ»^(١٤)، وقول الإمام الصادق عليه السلام: «كَثْرَةُ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ
يَفْتَحُ الْعَقْلَ»^(١٥) يشكّل دافعاً باطنياً قوياً في حركته العلميّة وبناء
شخصيّته وصلابة إرادته في التقدّم والإستقامة على الهدى.

١٢- سورة ابراهيم / ٧

١٣- سورة طه / ١١٤

١٤- الكافي - الشيخ الكليني / ج ١ - ص ٣٦

١٥- بحار الانوار - العلامة المجلسي / ج ١ - ص ١٥٩

لقد اكتسب السيّد الشيرازي من تلك البيئة النقيّة شوقاً متواصلًا في البحث الدؤوب عن المعارف الإسلاميّة والاطّلاع على العلوم البشريّة المتنوّعة، وشوقاً آخر منه كان متّصلاً بحصد ثمار علمه ونشرها كزكاة لها متمثّلة في سرعة إيصال ما استفاده من قراءته في أيّ جديد ليُشرك فيه غيره من منطلق: «أحبُّ لأخيكَ ما تُحبُّه لنفسِكَ»^(١٦) كما في الحديث الشريف. وهذا هو بعض السرّ في كثرة مؤلفاته التي كسرت الرقم القياسي في الشرق وربما عالمياً بتجاوزها الألف والمئتي وخمسين كتاباً وكتيباً.

وهكذا أخذ السيّد محمد الشيرازي منذ بداية شبابه يضحّ ما كان يتعلّمه ويستلهمه من قراءته الكثيرة في روافد تأليفاته ومحاضراته ودروسه للعلماء وتوجيهاته للأمة حتّى وصل علمه لغير المسلمين أيضاً عندما كتب إليهم وترجمت كتبه إلى لغاتهم فنالت أفكاره وآراؤه إعجابهم الكبير وبامتياز. منهم على سبيل المثال أستاذ دنماركي خمسينيّ العمر يدرّس في كلية اللغة العربيّة وتاريخ الشرق بجامعة كوبنهاجن - لا أذكر اسمه الآن - وقد تعرّف عليه في سنة ١٩٨٩ وجالسته قرابة

١٦ - كتاب المؤمن - الحسين بن سعيد / ص ٤٢

سنة واحدة وأنا أعطيه من كتب المرجع الشيرازي أو أحدثه عن أفكاره فكان منبهراً بهذه الشخصية الإسلامية الجامعة حتى وضع ما أعطيته من كتبه في مكتبة الكلية القسم العربي، ومن بعدي تصادق معه صديقي العزيز المهندس الحاج محمد رمضان عوض وجلب له موسوعة الفقه بمجلداتها ١٦٠ كاملةً من تأليف السيد المرجع الشيرازي فزاد انبهاره به (أعلى الله مقامه) فوضعها أيضاً في مصادر مكتبة الجامعة.

هذه واحدة من القصص فيما يرتبط بمكانة الشيرازي عند المثقفين الأجانب.

وهنا لا أغفل القول بأن هذا التقدّم الهائل الذي شقّ ساحة السيّد الشيرازي طريقه فيه بنجاح قلّ نظيره إنما كانت بدايته من بركات القرآن الكريم الذي شِعّ نوره في قلبه وهو في صباه إلى جانب نور أحاديث النبي محمّد ﷺ والأئمة الأطهار من أهل بيته ﷺ فصار - عليه الرحمة والرضوان - يميّز بأنوار الثقلين حقيقة الصواب والمعروف عن حقيقة الخطأ والمنكر في الأمور التالية:

- كلما قرأ في العلوم البشريّة، فلم ينبهر بها ويضرب أقوال الثقلين عرض الحائط بالالتفاف عليها أو

التبرير أو التضعيف، بل كان يوظفها لتقوية ما يقدمه
منهما في أذهان الناس وابتعد ما يخالفهما.

- أو متى ما أراد معرفة الحقيقة عن الزيف المختبئ في
ثوب الإسلام كلما سمع به أو قرأ.
- أو حينما كان يريد البحث لتطوير فكرة أو استنباط
جديد في مسائل الفقه التي بلغ فيها حدّ البداهية حين
جوابه على آية مسألة منها.
- أو عندما كان يريد تطبيق العلوم الحقّة التي اكتسبها
عبر قراءته المتواصلة، إذ كم من عالم يصل إلى الحق ثمّ
يخفق في تطبيقه العملي.

ناهيك عن الاستقامة على النهج الصحيح ببركة نور
الثقلين؛ فإنّه - رحمه الله - لولا التصاقه بنور الثقلين كتاب الله
وعترة رسول الله لما كان يتأسس منذ باكورة صباه تأسيساً يجعله
الميزان على جيد التاريخ والنبض للأصالة والعطاء النقيّ.

من هنا أستطيع الجزم بأنّ القراءة بهذه الجذور القرآنيّة
والكنوز العتروية كانت هي الركن الأهمّ من أركان الوعي
والمعرفة في شخصيّة المرجع الشيرازي الراحل من جهتين..
جهة المفهوم وجهة المصداق معاً.

وهذا التأسيس الصحيح لبناء شخصيته وتكوينها وتنميتها جاء من حبه للقراءة المدعومة بتوفيق الله له في اختيار الكتب والأساتذة، ولولا ذلك التوفيق الإلهي لكان من السهل سقوطه في فخّ المنحرفين بالالتقاط من كلِّ غثٍّ وسمين. لذا فالقراءة وحدها لا تكفي.. وإنما توفيق الله للقارئ وتسديده كيلا لا يقرأ من المستنقعات الفكرية ويلتقط منها السموم القاتلة باسم المعرفة والثقافة والحريّة كما هو حال كثيرين. وفي هذا يكمن السرّ لو قلنا أن المرجع الشيرازي الراحل لن تجدوا في فكره شطحات ولا في فقهه شذوذ.. وهذا من موارد التحديّ لخصومه الذين أبعدهم الجهل عنه حتى قال لي أحد قادتهم في إحدى البلدان منتقداً ومنتقِصاً من السيد الشيرازي بأن له كتاب باسم الديمقراطية الغربية.. لماذا يؤيدها!!

فقلتُ له: ليس له كتاب بهذا العنوان ولا هو مؤيد لها. فاستغرب من معلوماته!! مثلما أنا اليوم مستغرب منه إذ يدعو في معارضته لحكومة بلاده إلى حكم الديمقراطية!!

وقس على هذا الجهل بحقيقة فكر الشيرازي لدى الذين لا يقرأون منه مباشرة أو عنه من مصادر صحيحة لتعرف صدق ما قاله الإمام علي عليه السلام: «النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا»^(١٧).

١٧- نهج البلاغة، حكمة ١٦٢، صفحة ٦٣٩، شرح صبحي الصالح.



الركيزة الثالثة الشيرازي وسلوكه الشَّغُوف بالقراءة

إنَّ شِدَّةَ حُبِّهِ تَدْرُسُ لِلْعِلْمِ جَعَلْتَهُ شَدِيدَ الْحُبِّ للقراءة
بدرجة الوَلِّهِ وَالشَّغْفِ، وهذه حَالَةٌ إِيْجَابِيَّةٌ فِي طَالِبِ الْعِلْمِ
تَنْدَرِجُ تَحْتَ قَوْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْهُوَ مَنْ لَا
يَشْبَعَانِ طَالِبٌ دُنْيَاً وَطَالِبٌ عِلْمًا»^(١٨).

وهنا أستعرض قصصًا وشهادات بعض مقربيه من أسرته
الشريفة ومن وكلائه، وأبدءها من ذكرياتي الشخصية معه
(طاب ثراه):

القصة: (١)

كان ذات مرّة يتحدّث مع جمعٍ من الشباب الذين أخذتهم
إليه، فذكر في كلمته أنّ وزير الدفاع الإسرائيلي (مناحيم بيغن)

أفشى في مقابلة أجراها معه راديو إسرائيل أيام حرب حزيران عام (١٩٦٧) سراً عسكرياً وكان سهواً منه، فوبّخته الحكومة الصهيونية في جلستها. فاعترف بخطئه، ولكنه قال: اطمئنا.. إن العرب قومٌ لا يقرأون!! فأنا قلتُ شيئاً وتبخّر في الهواء ولا أحد منهم سمع ولا أحد سيقراه!!

ثم أضاف سماحته للحاضرين:

هل تعلمون أنّ في إسرائيل مئات المكتبات الضخمة للقراءة والمطالعة، وفيها عشرات مراكز أبحاث استراتيجية وتخصّصية عملاقة أيضاً؟!

ثم قال سماحته: نريد تثقيف المسلمين بثقافة الكتاب واستنهاضهم إلى ثورة القراءة فالقراءة حتّى النصر.

ثمّ وجّه كلامه إليهم: عليكم أن تألفوا كتباً وتشرّوا بكلّ اللغات والتفت نحوي بيتسم وقال إنّ على هذا الشيخ أن يألف ويطبّع بالمليون نُسخ.

كان تشجيعه على التأليف ينطلق مما يستلزمه التأليف من قراءة.. إذ يضطر من يريد التأليف أن يقرأ كثيراً. فهو (أعلى الله درجاته) كان ذكياً في دعواته المتكرّرة للتأليف والنشر.. يؤكد

على النتيجة ومقدمتها محسومة بالملازمة العقلية والفعلية.

القصة: (٢)

كنتُ في كلِّ لقاءٍ بسماحته أتلقَى منه التشجيع للتأليف
ويسألني ما الجديد من كتاباتك؟ فإذا كان قد صدر لي كتابٌ
جديد أقدم له نسخةً منه فيفرح بها أيما فرح، ثمَّ يقول: كم
طبعتَ منه؟ فأقول ثلاثة آلاف. فيقول: قليلة جدًا. لا بدَّ من
إيصال العدد إلى مئة ألف نسخة، ثمَّ إلى مليون فصاعدًا.

ولمَّا كنتُ أزوره في لقاءٍ آخر كان يحدثني عن بعض نقاط
كتابي الذي أعطيتُه في لقاء سابق، ممَّا يدلُّ على أنه قد قرأه ولو
بالتصفح لكثرة مشاغله.

تلك الفترة كان قد صدر لي كتاب:

- (العلم والعلماء في الكتاب والسنة)

- (أحكامك في البلاد الأجنبية)

وهو عبارة عن إجابات سماحته على ٣٠٠ سؤال أرسلته

إليه من الدنمارك.

- (قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين)

- (مذكرات الشيخ بهلول)
- (علماء البحرين دروس وعبر)
- (حوار بين الحاج والشباب)
- (لمستقبل أفضل).
- (المحبة والعدالة والعقلنة.. دعائم الإصلاحات الناجحة).

فكان يسره كل إنتاج جديد ويشجع ويقول حاول في كل طبعة تراجع كتابك وتطور فيه لأن الكمال ليس بالمرّة الأولى.

القصة: (٣)

كنت ذات مرّة جالساً عنده وهو يحدث زوّاره عن قرب سقوط الشيوعيّة في عقر دارها، وأنّ الاتحاد السوفييتي سوف يتفكك قريباً إلى دول. كان يقول أنّ أحد أهمّ الأسباب لهذا السقوط بعد كفرهم بالله وإلحادهم العلي هو ضعفهم الصناعي والاقتصادي وتفجيرهم لشعوبهم.

ثمّ ضرب مثلاً يكشف عن متابعته لأخبار الناس هناك، فقال: هل تعلمون أنّ العائلة السوفييتيّة تفتح ثلاثها في المنزل

ولا تجد فيها أبسط ما يمكن ادّخاره للأكل والطبخ؟!

وذكر أنّه قرأ هذا الخبر في إحدى المجلّات. ثم كان يدعم ما يقوله بأية كريمة أو رواية شريفة حول مآلات الأمم المشتركة والحضارات الفاسدة.

القصة: (٤)

كنتُ في عام ١٩٩٦ جالسًا عنده مع بعض زوّاره بمنزله في مدينة قم المقدّسة، فأخذ يتحدّث عن النموّ الاقتصادي في دول المنطقة، فذكر أنّه قرأ قبل بضع سنين تقريرًا خاصًا عن وجود حقول الغاز في دولة قطر، ثمّ قال: ستكون لهذه الدولة طفرةً ماليّةً ضخمةً تجعلها متقدّمةً على سوق دبي التجاري.

وكان هذا قبل أن تتبيّن ملامح الشراء في الدوحة لدى القطريين.

البعض يستغرب: كيف لمرجع ديني أن يقرأ في هذه المسائل؟!

ولكن لا غرابة من الشيرازي فهو بالفعل كان مرجعًا دينيًا بوسام الموسوعية!!

القصة: (٥)

أرسل لي في سنة ٢٠٠٠ أحد الأصدقاء من البحرين إحدى الصحف المحليّة، وفيها نصّ بنود الميثاق الوطني الجديد، وطلب منّي أن أعطيه لسماحته وأخذ منه رأيه فيها. فقبل أن أعطيه الصحيفة وأفتح معه الموضوع، قال إنّه اطلع على هذا الميثاق وقرأ بنوده، ثم أبدى رأيه لي مؤكّداً على ضرورة التوافق بين أهل العقد والحلّ داخل البلد.

القصة: (٦)

فترة الثمانينات -أيام الحرب العراقية الإيرانية- عند كلّ لقاءٍ أجلس معه لوحدي أو بحضور آخرين كان في حديثه السياسي وتحليلاته للأوضاع وحين تطرّقه لأخبار الناس في دول الجوار يتكلّم عن معلومات رقميّة، وأحياناً يذكر المصدر فيقول مثلاً: جاءني الشخصية الفلانيّة ودار بيننا كذا وكذا.. إنه قال وأنا قلت له. أو يقول مثلاً: لقد أرسل لي الأصدقاء المجلة الفلانيّة وفيها قرأت كذا، أو يقول: إنّ هذا الموضوع قرأته في تقريرٍ وصلني من الإخوة في البلد الفلاني قبل كذا مدة. شخصياً كنتُ أجلب لسماحته بعض المجلات الدراسيّة أو إصدار علمي كلّما أزوره. وكان معروفاً بين الأصدقاء

بهذا الأمر، كل واحد منهم كان يزوره ويده كتاب جديد أو مجلة جديدة أو صحيفة جديدة. في سنة ١٩٨٨ كنت في اسبانيا -برشلونة- ولما أردت الرجوع إلى إيران أعطاني أحد الأصدقاء من المقيمين هناك عددًا من المجلات العلميّة التخصصيّة، وقال خذها إلى سماحة السيّد المرجع فإنّه يتابع كل جديد في عالم الفكر والثقافة.

القصة: (٧)

كتب لي الدكتور محسن القزويني.. يقول: كنت جالسًا إلى جنب السيّد المرجع الشيرازي الراحل في ديوانيته بالكويت -في سبعينيات القرن الميلادي السابق- وكان الوقت عصرًا، فخطر في باله أمرٌ، فطلب منّي أن نخرج ونمشي بالسيارة قليلاً، ثم طلب من صاحب السيارة وهو صديق كويتي أن يتوقف أمام مبنى تشكيلته عربية، فتحنا الباب ودخلنا وإذا هو بيت عربي واسع وخلفه حديقة فيها أشجار كثيفة.

قال لي المرحوم سيّدنا: إحدى الكويتيّات تبرّعت لي بهذا البيت العربي وأريد أن يتحوّل إلى مشروع يخصّ الشباب.

أخذنا نتجوّل مع سماحته في أرجاء البيت ونشاهد الغرف

التي تحيط بالمساحة الداخلية، قلتُ لسماحته أرى من الأفضل أن نفتح هذه الغرف، وكانت ثلاثة، لتصبح قاعة للمطالعة ونحو المكان إلى مكتبة، والجهة الخلفية من البيت ننشأ منه نادياً نوفر فيه كل سُبُل الراحة للشباب.

وجدتُ الفكرة قد راقتُ للسيد المرجع، فبسرعة البرق قال للأخ الكويتي صاحب السيارة الذي كان برفقتنا: «إجلب لنا «قلم ماجك» و«كارتون» لنكتب عليه عبارة: «مكتبة الرسول الأعظم».

فسارع الأخ وجاء لنا بما طلبه سماحة السيّد، ولأني كنتُ أحسنُ الخطّ فطلب منّي سماحته أن أخط بيدي «مكتبة الرسول الأعظم». لكن ظلّ الأخ الكويتي يردّد: سيّدنا الكويتيين ما (يگرون) باللهجة الكويتية.. يعني ما يقرأون!!

وكان ردّ السيّد الشيرازي: سنعودهم على القراءة إن شاء الله.

ومن هذه الخطوة بدأت مسيرة مكتبة الرسول الأعظم الحافلة بالأنشطة الثقافية المتنوعة إلى اليوم وقد مضت عليها قرابة خمسون عاماً وتعتبر اليوم أكبر مكتبة في هذا البلد.

ويرتادها كلّ الفئات للقراءة والتحضير وإعداد البحوث والدراسات.

نعم.. منذ أن أمر السيد الشيرازي بتحويل ذلك البيت العربي إلى مركز إشعاع فكري بدأ المؤمنون العمل فيه سريعاً فصار المكان مكتبة ونادياً للشباب الكويتيين.

فأخذ عمّال البناء من جانب يحولون المكان من بيت عربي إلى مركز ثقافي لأوّل مرّة تعرفه منطقة «بنيد القار».. ومن جانب آخر طالب السيد الشيرازي كل من في بيته كُتِبَ إضافيّة أن يأتي بها إلى هذه المكتبة. فتحرّك الشباب والخطباء وأئمة المساجد فتجمعت آلاف الكتب على رفوفها وتمّ وضع كراسٍ وطاولات...

هكذا تحوّل ذلك البيت المتروك إلى مكتبة عامّة باسم مكتبة الرسول الأعظم (ص). ولكن بقي شيء آخر: من يتولّى مسؤوليّة إدارة هذه المكتبة؟

فاقترحت على السيد المرجع أن يكون الأخ السيّد حسين الرضوي هو المدير، سرعان ما أبدى موافقته وتمّ تعيين السيد الرضوي كأول مدير لهذه المكتبة المباركة.

وقد بذل أخونا السيّد أبو علي الرضوي جهوداً كبيرة لتكون المكتبة في أبي صورة جذّابة للقراء، فكان يوم افتتاحها يوماً سعيداً لشباب المنطقة الذين كانوا يقضون أوقاتهم في الطرقات، فأصبحوا اليوم يقضونها في «مكتبة الرسول الاعظم» منشغلين بالمطالعة وبوسائل الراحة في النادي. وقد تطوّرت المكتبة خلال هذه العقود الخمسة كثيرًا حيث أعيد بناءه في صرحٍ جديد وأنيق.

القصة: (٨)

نقلًا عن نجله سماحة العلامة السيد مهدي الشيرازي عن إحدى نساء الأسرة، قالت: «قليلاً ما كنتُ أراه وليس بيده كتابٌ يقرأ أو قلمٌ يكتب. كان يقرأ قبل النوم، وعندما كان يجلس من النوم يمدّ يده إلى الكتاب الذي تركه بجانبه، فيقرأ أو يتصفّح فيه. كنتُ أرى حوله كتبًا كثيرة وفي مواضيع متعدّدة، عن الطفل، عن الحيوان، عن التاريخ، عن الروايات، عن التفسير، عن القصص، عن الطبّ، وإلى غير ذلك.

أذكر ذات مرّةٍ كان بيدي كتابٍ اشتريته خاصًا بالأطفال والبراعم في القصص القرآنيّة، فما أن رآه بيدي طلبه منّي ليقراه وكان عدد صفحاته مئة صفحة، قرأه بسرعة ثم أعاده إليّ».

القصة: (٩)

يقول سماحة العلامة السيّد هادي المدرّسي: دخلتُ على خالي سماحة السيّد المرجع الشيرازي في حجرته الخاصّة للقراءة والتأليف، ورأيتُه مشدودًا بالقراءة، فجلستُ عنده مسلّمًا وسألته: ما الجديد من كتاباتك سيّدنا؟

فأشار إلى رزمة أوراق ٤ عَلَيْهِ السَّلَام كثيرة وقال: هذا الكتيّب انتهيتُ منه قبل قليل!

فتصفّحتُها وكانت ٦٠٠ صفحة! هذه كان يعبرُ عنها السيّد الخال بالكتيّب!

القصة: (١٠)

كتب لي سماحة السيّد عباس الموسوي أحد وكلاء المرجع الشيرازي في (دبلن) عاصمة أيرلندا الجنوبية:

«كان الإمام الراحل ثُمَّ يقرأ بسرعة جدًّا. لقد أعطيتُه كتابًا في علم الاجتماع السياسي، وكانت صفحاته أكثر من ٣٠٠ تقريبًا. أعطيتُه الكتاب ليلاً وأرجعه لي في اليوم الثاني بعد المغرب؛ يعني أقل من ٢٤ ساعة.

فسألته عن كفيّة سرعته في القراءة؟

قال: عليك أن تقرأ الكتاب من دون أن تركز على حركات الإعراب (فتحة، ضمة، كسرة) والضمائر المنفصلة وغيرها. خذ المعاني وانطلق».

ويضيف السيد الموسوي قائلاً: في سنة ١٤١٢، أي قبل ٢٧ عام، سألته عن عدد الكتب التي قرأها؟ فقال سماحته إنها حدود ٥٠٠٠ كتاباً.

وسألته كم ساعة تنام في اليوم، وهل لك وقتٌ محدد للنوم مع كثرة قراءتك وكتاباتك وتدريسك ولقاءاتك مع مختلف فئات الناس وأصناف العلماء؟

فكان جوابه فَدَسْتُ: ليس لي وقت معين للنوم، متى ما أحس بالتعب وأني أحتاج إلى الراحة أنام، سواءً كان الوقت ليلاً أم نهاراً.

القصة: (١١)

حكى لي الخطيب الشهير سماحة الشيخ عبد الحميد المهاجر أنه في سنة ١٩٨٠ دخل برفقة الإمام الشيرازي على الإمام الخميني وكانت ساعتان تقريباً تفصلهم عن أذان الظهر.. وذلك في مقره بمدينة قم المقدسة قبل انتقاله للإقامة في طهران،

فلما جلسنا رأينا السيّد الخميني غارقاً في التفكير، وبعد تبادل أحاديث جانبية سأله السيّد الشيرازي ماذا يشغل باله هكذا؟ فقال السيّد الخميني: إنّ أسعار الأراضي والعقارات ارتفعت بعد الثورة أضعاف ما كانت عليه قبلها، وهذا ما يجعل الشعب يرانا السبب في هذا الغلاء الفاحش، فإن لم نعالج هذه الأزمة بسرعة سنواجه غضب الشعب علينا. لا أدري كيف نكسر الأسعار ونعيدها إلى سابق عهدها؟

هنا، ومن غير تأخير، قال له السيّد الشيرازي: بسيطة جداً!!

ففتح السيّد الخميني عينيه والتفت إلى السيّد الشيرازي باهتمام كبير وسأله باستغراب: كيف؟!

فقال له السيّد الشيرازي: باقى إلى موعد النشرة الخبرية لظهيرة هذا اليوم بضع ساعات. فليتصل ابنك فضيلة السيّد أحمد - وكان جالساً - برئيس الوزراء المهندس مهدي بازركان ويطلب منه إصدار بيان حكوميّ يُقرأ في نشرة الأخبار بأنّ الحكومة قرّرت توزيع قسائم من الأراضي على المواطنين حسب مناطقهم دون مقابل على أن يقوموا ببنائها وإحيائها، وأنّ الحكومة ستقدّم لهم قروضاً بلا أرباح ربويّة لأجل ذلك.

يقول الشيخ المهاجر: انشرح وجه السيّد الخميني فرحاً بهذا الحلّ السريع المتطابق مع القاعدة الشرعيّة في إحياء أرض الموت ، وهو ما يُدخِل السرور على الناس ويجعلهم أكثر حُبّاً في الجمهوريّة الفتية.

فأمر ابنه السيّد أحمد فوراً أن يتصل برئيس الوزراء لتنفيذ الحكم الآن. وإذا باليوم الثاني هبطت الأسعار وخذ غليان سوق العقارات المصحفة بحقّ الناس.

القصة: (١٢)

لم يؤمن ساحة المرجع السيّد محمد الشيرازي بنظرية التسقيط لمن يخالفه الرأي أو يصدر عنه انحراف في الدين والفكر بذكر اسمه والتشهير به أمام الرأي العام.

لهذا، لما بلغه عن أحد العلماء المختلف معه منهجاً وتوجّهاً أنّه ينتقص من مكانة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام الغيبية ويشكك في مأساتها بعد رحيل أبيها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، جاءه أحد الخطباء وقد كان يجمع فتاوى مراجع التقليد في إدانة ما طرحه هذا العالم طالباً من المرجع الشيرازي الانضمام إلى هؤلاء المراجع بكتابة شيءٍ ضدّ الرجل!! وكان يتوقع منه

سرعة الاستجابة منتهزاً خلافة معه!!

ولكنه فوجأ برد السيّد الشيرازي هذا: نحن نقارع الفكر بالفكر ولسنا مع تسقيط الأشخاص وشخصنة الخلافات.

فعلى الرغم من المواقف السليبيّة لهذا العالم وحزبه تجاه السيّد الشيرازي لم ينزل إلى المستوى الهابط للمواجهة، بل راح يردّ عليه بتأليف كتابه الجميل (من فقه الزهراء) في ستّة مجلّدات، مؤسساً به لمنهج جديد في باب الاستنباط الفقهي، وهو الاستناد إلى أحاديث فاطمة الزهراء عَاقِبَاتُهَا لاستخراج الحكم الشرعي، الأمر الذي لم يكن معمولاً به في أوساط الفقهاء السابقين والمعاصرين.

ومن هذه القصّة التي كنتُ فيها شخصياً نعرف سموّ شخصيّة الرساليّة وأنه (قُدّس سرّه) لم يوظّف علمه للحرب على غيره وتصفيّة حسابات شخصيّة على حساب الدّين وراحة الناس وإنتاج احتراب داخلي لخدمة أعداء الإسلام والأمة.

القصّة: (١٣)

يدرس طلاب الحوزات العلميّة ثلاثة كتبٍ أساسيّة في علم الفقه وعلم الأصول، وهي من أصعب الكتب من حيث

المحتوى العلمي والتعقيد اللفظي ومن يتقن فهمها يتأهل حوزوياً لبحث الخارج في الفقه والأصول ذهاباً إلى مرحلة الاجتهاد، وهذه الكتب هي كتاب (الرسائل) لشيخ الفقهاء الشيخ مرتضى الأنصاري في علم الأصول، وكتابه الآخر (المكاسب) في علم الفقه، وكتاب (كفاية الأصول) للمجتهد الكبير الشيخ الآخوند الخراساني في علم الأصول.

قام سماحة الفقيه الشيرازي في فترة شبابه بتأليف شروح لهذه الكتب الثلاثة الصعبة جداً، وهي من أفضل الشروح التي لا يستغني عنها الطالب الحوزوي غالباً.

ولكن.. لقد بلغ حقد الحساد على سماحته أن كانوا في بعض المدارس الحوزوية يمسحون اسم المؤلف (محمد الشيرازي) من على الكتاب ليستفيد منه الطالب دون أن يميل قلبه إلى كاتبه!!

ولما أخبر السيد بذلك ابتسم وقال: ليس مهماً اسمي إذا كان يمنعهم الاستفادة من علوم محمد وآل محمد.

هكذا كان يعيش الدوبان في حب الخير للآخرين والزهد في ذاته، ويوزع ابتسامته علامة للترفع عن سفاسف الأمور،

وهذه الصفة -صفة الترفع- كانت متجذرةً في عمق وعيه الديني وأخلاقه الكريمة.

القصة: (١٤)

كتب لي سماحة العلامة السيّد محسن الخاتمي، وهو كان من المقربين للمرجع الشيرازي الفقيه ومدير مكتبه لأكثر من ثلاثة عقود.. أنّه: لما هاجر المرحوم السيّد الشيرازي من الكويت واستقرّ بمدينة قم المقدّسة بعد انتصار الثورة في إيران قرّر سماحته في سنة ١٩٨٠ تقريباً أن يبدأ بتدريس الإقتصاد الإسلامي باعتبار حاجة النظام السياسي الجديد في إيران إلى أهمّ عَصَبِ الحياة وهو المال والاستثمار في شريان المجتمع، وذلك انطلاقاً من قول الله -عزّ وجل-: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١٩).
خاصةً والإسلاميون لم تكن لديهم نظرية إقتصادية متكاملة آنذاك تكون صالحة على مستوى التطبيق، فلكيلا يقعوا في النظريات الشيوعية والإشراكية بعد خروجهم من الرأسمالية الغربية عزم السيّد الشيرازي في تلك الفترة العصبية على طرح الرؤية الإسلامية للإقتصاد التطبيقي. فاستشارني في ذلك

١٩- سورة قريش / ٤ - ٣

الأمر، أعني تدريس مادّة الإقتصاد في الحوزة العلميّة لطلبة البحث الخارج الإستدلالي، وكان يريد كعادته بعد التدريس يطبعه في صورة كتاب ليعمّ النفع به؟

فقلتُ لسماحته: إن كنتَ تريد تدريس كتاب مكاسب الشيخ الأنصاري مثلاً فلا بأس. وهو من الكتب الدراسية في الحوزات العلمية، يعتمد المراجع في بحوثهم الفقهيّة لدرس المرحلة الإجتهدية العليا. وأمّا إن كنتَ تريد تدريس علم الإقتصاد والإقتصاد المُقارَن وتطرح النظريات الاقتصادية المعاصرة وأنت في طريقك إلى بلورة البديل الإسلامي وهذا هو ما أفهمه من استشارتك لي فهنا يلزم سيّدنا المعظمّ أن تقرأوا مجموعة كتب جديدة تبحث في هذه الأمور.

فقال لي سماحته، هو هذا الذي أقصده، فذهب إلى المكتبات واشترى لي آخر الكتب التي قدّمته المدارس الاقتصادية لأطلع على الرأي الآخر في بحثي حول الرأي الإسلامي.

فذهبتُ إلى طهران مع أحد الأصدقاء وفتشتُ عن كلّ كتابٍ تُرجم إلى اللغة الفارسيّة حول الإقتصاد واشتريتُ أكثر من خمسين كتاباً وأتيتُ بها إلى سماحة السيّد الشيرازي. فتعجّب من كثرتها وقلتُ له سيّدنا إنني لم أشتري كلّها بل

اشتريتُ الأهمَّ منها.

وبعد فترة سألتُهُ إن كان قرأتك الكتب؟

قال: نعم قرأتها كلها وقرأتُ بعضها عدّة مرّات لأتأكد مما يقصده الكاتب كيلا أنسب إليه في بحثي ما لم يقصده.

نعم وهذه من الأمانة العلميّة التي كان يقف خلفها ورعُهُ في الدّين واحترامه للعلم ولعقول الناس وأصحاب الرأى الآخر.

وهكذا - والكلام للسيد الخاتمي - بعد أن قرأتك الكتب بدأ بتدريس الإقتصاد في بحث الخارج الإجهادي على منهج المقارنة مع الفكر الاقتصادي للإسلام. ثم ألف كتابه القيم (الفقه الاقتصادي) وهو جزء من موسوعته الفقهية ذات ١٦٠ مجلداً.

وهنا لنا أن نسأل: عندما نريد أن نكتب كتاباً في مجالٍ ما كم عدد الكتب التي ينبغي لنا أن نقرأه ليكون ما نقدّمه للبشر علماً مفيداً وموضوعياً منصفاً؟

الجواب تجده في سيرة الشيرازي مع القراءة وصداقته الحميمة مع الكتاب.

القصة: (١٥)

حكى لي صهره الخطيب المعروف ساحة العلامة السيّد محمد باقر الفالي: إننا قررنا في يوم النصف من شعبان (في عيد ميلاد الامام المهدي المنتظر ارواحنا فداه) والجوّ كان صيفاً أن نذهب مع بعض الأصدقاء إلى بستان خارج مدينة قم المقدّسة صباحاً نتناول وجبة الصباح ونعود بعدها لاستقبال المؤمنين وتبادل التهاني معهم بالأعياد المهدويّة، وكان هذا القرار سبيلنا الوحيد لإقناع سيّد العمّ السيّد المرجع الشيرازي ليخرج معنا ويستريح بعض ساعات من تعب القراءة والكتابة. حيث كنتُ كلّمًا أدخل عليه أجده غارقاً في القراءة ويده القلم وبين يديه أوراق، حتى أصبحتُ إصبعه السبّابة والوسطى قد شلّتا من الحركة لكثرة الكتابة فظلّ في السنوات الأخيرة يمسك القلم بالإبهام والبُنصُر كما يظهر من بعض صورته أيضاً.

دخلتُ وسلّمتُ عليه طالباً منه الذهاب معنا. نظر إليّ من تحت نظّارته وابتسم قائلاً: إذهبوا أنتم الآن واستأنسوا وعند رجوعكم أخبروني عن رحلتكم!!

وأنا ما كنتُ أريد أقطع عليه جبل التفكير كثيراً، قلتُ له سيّدنا الكريم دقائق وأعود إليك لأراك جاهزاً للخروج معنا.

يعني ما في مجال للإعتذار!!

وإذا بالسيّد ردّ عليّ بقوله: إذهبوا إلى بستانكم وأنا بستاني
هذه الكتب! أليس الحديث الشريف عن الإمام علي عليه السلام
يقول: «الْكُتُبُ بَسَاتِينُ الْعُلَمَاءِ»^(٢٠).

قلتُ سيّدي إرحم نفسك لقد أتعبتها، ولبدنك عليك حقّ
الإسترخاء والإستراحة.

قال: أرجوك سيّدنا.. إذهبوا وأنا أدعو لكم بالخير
والسلامة.

فودّعته وذهبنا مع الأصدقاء، وعندما رجعنا رأيتُه قائماً
يستقبل المؤمنين في مجلسه ويتقبّل التهاني فقبّلتُ يده وهنّئته
بالمولد الشريف فجلس وأجلسني عنده ثم مدّ يده آخذاً
مجموعةً كبيرةً من الأوراق، وقال: خذ هذا الكتاب إلى المطبعة.
ولو كنتُ أخرج معكم لما كنتُ أكتب هذا الكتاب خدمةً لأمر
المؤمنين عليهم السلام. أخذتُ الأوراق وكان عنوان كتابه: [الإمام
أمير المؤمنين شمسٌ في أفق البشريّة].

ثم قال لي: أليس هذا الإنجاز أفضل من ساعات كنتُ
أقضيها معكم في البستان!؟

٢٠- مستدرك الوسائل - الميرزا النوري / ج ١٧ - ص ٣٠٢



**المحور الثاني:
وفيه ثلاث ركائز**





الركيزة الأولى

الموسوعيّة في قراءة الشيرازي



ما سبق من نقاط يكفي للوقوف على سعة علم الإمام الشيرازي في مختلف العلوم، وتدّل على ذلك أيضًا مواضيع كتبه التي صبّ فيها من علمه الغزير صبًّا ما يدلّ على اطلاعه الواسع.. وقد كتب -رحمه الله- مجلّدات كثيرة ودورات بعدة عبارات بين السهلة والصعبة.. في هذه المواضيع على سبيل المثال وليس الحصر:

- ١- في تفسير القرآن الكريم.
- ٢- في شرح روايات النبي الأكرم والأئمة من أهل بيته حول أمور شتى.
- ٣- في سيرة أهل البيت وقصصهم وأخلاقهم.
- ٤- في العقائد الإسلامية.

- ٥- في قصص الأنبياء في القرآن.
- ٦- في مسائل الفقه العملي والأحكام الشرعية.
- ٧- في قضايا الأسرة والعنوسة.
- ٨- في هموم الشباب والزواج.
- ٩- في الحوزات العلمية.
- ١٠- في الطبّ والعلاج عند أهل البيت عليهم السلام.
- ١١- في السياسة.
- ١٢- في الاقتصاد.
- ١٣- في الإدارة.
- ١٤- في الحقوق.
- ١٥- في البيئة.
- ١٦- في الإعلام.
- ١٧- في قوانين المرور من وجهة نظر الإسلام.
- ١٨- في نظام المرجعية الشيعية.
- ١٩- في الأخلاق الإسلامية.

- ٢٠- عن الغرب.
- ٢١- عن فلسطين.
- ٢٢- عن العراق.
- ٢٣- عن أفغانستان.
- ٢٤- عن الثورة وأساليب التغيير السلمي.
- ٢٥- في مناهج التربية.
- ٢٦- في المال والاستثمار.
- ٢٧- في الأديان.
- ٢٨- في المدارس الفلسفية القديمة والحديثة.
- ٢٩- في الدعاء وآداب الزيارة.
- ٣٠- في الشعائر الحسينية.
- ٣١- في علم أصول الفقه.
- ٣٢- في حياة العلماء ومواقفهم.
- ٣٣- في أجوبة فقهية لمكتشفات افتراضية (قبل وقوعها).
- ٣٤- في قواعد اللغة العربية.

- ٣٥- في علم البلاغة والمعاني والبيان.
- ٣٦- في فلسفة التاريخ.
- ٣٧- في الردّ على الشيوعيّة.
- ٣٨- في مساوئ الأنظمة الرأسماليّة.
- ٣٩- في الاستنساخ البشري.
- ٤٠- في الأحلام والرؤيا.
- ٤١- في علم الكلام.
- ٤٢- عن فقه المستقبل.
- ٤٣- عن فقه العولمة.
- ٤٤- عن فقه الاجتماع.
- ٤٥- عن الحضارة والتمدّن.
- ٤٦- عن البترول والطاقة.
- ٤٧- عن فقه القانون.
- ٤٨- حول الثقافة.
- ٤٩- حول فقه النظافة.

٥٠- حول الحرب والسلام.

٥١- حول الإستعمار.

٥٢- حول كرامات الأولياء.

٥٣- حول أمهات المعصومين (عليهم وعليهن السلام).

٥٤- حول القواعد الفقهية.

٥٥- مذكراته الشخصية.

وقام فترة شبابه بتلخيص بعض الكتب المفيدة مع حذف الزوائد وما فيها من أكاذيب، مثل:

- تلخيص تاريخ الامبراطورية العثمانية.
- تلخيص كتاب جرجي زيدان.
- تلخيص كتاب الصواعق المحرقة، باسم: (فضائل آل الرسول).

ولديه مؤلفات لم ينشرها باسمه لأسباب خاصة، كما لديه أشعارٌ في المدح والرثاء لأهل البيت عليهم السلام كان ينظمها ويعطيها لبعض الرواديد والخطباء يقرأونها من دون ذكر اسمه.

هذا ولو لم يصدر له غير موسوعته الفقهية المعروفة ذات

١٦٠ مجلِّدًا لكفى دليلًا على موسوعيته المعلوماتية الفريدة من نوعها بين كلِّ المراجع والعلماء، والحال أنَّ هذه الموسوعة في الفقه الاستدلالي من أوَّل باب الطهارة إلى آخر باب الدِّيَّات مضافًا إلى ابتكاراته الجديدة في استنباطه لأحكام موضوعات فرضية قبل حدوثها تُعتبر واحدًا من مؤلفاته البالغة ١٢٥٠ كتابٍ وكتيبٍ تقريبًا، وهو العدد الذي لم يحصل عليه أحدٌ من المسلمين، وأمَّا غير المسلمين فلم يتفوقوا عليه من ناحية العمق العلمي وسعة المواضيع وشمولية الأطروحات التي سطر فيها آراءه السديدة والرائدة.

ولقد استطاع المرجع الشيرازي في جميع مؤلفاته منذ بدأ يكتب وهو في صباه أن يبسط أسلوبه في الكتابة عن الإسلام والتشيع للأطفال والبراعم، وأن يصعب قليلًا للشباب العادي ويصعبه أكثر للشباب الجامعي، كما وكتب بلغة العلماء وأساتذة الحوزات وقدم شروحًا لأهمِّ الكتب الدراسية للطلبة الحوزويين.

وهذا يعود أيضًا إلى كثرة مطالعته في شتى المستويات، حتَّى اشتهرت عنه بدايته العجيبة في الإجابة على الأسئلة واستحضاره الدقيق للمعلومات، وهو دليل كثرة مطالعته

ومخزونه العلمي الهائل جداً مضافاً إلى ثقته بنفسه وطمأننته بما اكتسبه من علوم واجتهد فيها .. فكان يصرّح بمسائلها جملةً وتفصيلاً.

كنتُ ذات مرّة جالساً على يسار سماحته وفي يدي (استكانة شاي)، فدخل أحد كبار العلماء من أساتذة حوزة قم المقدّسة وجلس أمامه - من جهة اليسار قليلاً - وقال: إني متحيّر في مسألة ولم أجد لها جواباً يُشبع قناعتني رغم أنّي سهرتُ لها البارحة وأنا أبحث في الكتب.

فما أن طرح سؤاله حتى ابتسم السيّد الشيرازي وقال مازحاً: سأوضّح لك الجواب قبل أن ينتهي الشيخ عبد العظيم من شربه الشاي!!

ثمّ أجابه ببساطة ودلّه على المصدر ورقم الجزء من الكتاب، فاستغرب ذلك العالم بشدّة من قوّته العلميّة واستحضاره للجواب بهذه السهولة البديهيّة.

وفي نفس المجلس طرح شابّ سؤالاً لسماحته، ورجل كبير السنّ من البحرين سؤالاً آخر، وحضر عاملٌ كادحٌ من الأفغان وكانت لديه مسألة شرعيّة، وأحد الطلبة الحوزويين

طرح سؤالاً، وكل سؤال ومسألة في موضوع يختلف عن الآخر، وهكذا...

هذه كانت طبيعة جميع مجالسه ولقاءاته، كما هي طبيعة كتبه ومؤلفاته.. مواضيع شتى.. مستويات متعددة.. أفكار جديدة وقديمة.. ولباقةً وحيويةً وحُسن بيان وسلاسة كلام.

كانت لديه في كل موقف رؤية ونصيحة، وهذا يكشف للمتابع والمراقب أنه كان بالفعل رجلاً يقرأ بكثرةٍ وشغفٍ ودقةٍ وهدف.

الركيزة الثانية: وفيها ثلاث نقاط

النقطة الأولى:

استراتيجية الشيرازي الفكرية (رقم ١):

لقد نبغ المرجع الشيرازي رَحْمَتُهُ فِي مَسِيرَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ (قراءةً وكتابةً ونشرًا) حتَّى بلغ الرقم القياسي في التأليف المتنوع، وهو فرعٌ للقراءة الكثيرة وزكاةٌ للمعرفة الوفيرة، ومن الواضح أنّ الذي يكتب بهذه الغزارة والعمق والتنوع لا يكون إلاّ وقد طالع في كلّ موضوع ممّا كتب حوله ما لا يقل عن عشرة كتاب؛ فهو على مدار عمره كاملاً من بعد سنّ الخامسة كما عرفنا ذلك من أبنائه الأجلّاء كان يقرأ ويقرأ ويقرأ حتّى استطاع أن يكتب ويكتب ويكتب في كلّ ما قرأه إلى جانب ملكته في الاجتهاد والاستنباط، وإلاّ كان ينطبق عليه المثل: (فاقد الشيء لا

يعطيه).. ولكن الحقيقة تقضي هنا بأن: (الأثر يدل على المؤثر).

وهنا سؤال يطرح نفسه:

هل كانت لسماحته استراتيجية فكرية خاصة في هذه المسيرة الطويلة الثلاثية الأضلاع (القراءة والكتابة والنشر)؟

نعم وبالتأكيد؛ ولعلّ الجواب المفصل نأخذه ممّا كتبه رَحِمَهُ اللهُ فِي واحدٍ من مؤلّفاته القيّمة وهو كتابه: (ثلاثة مليارات من الكتب) الذي حوى أهمّ الخطوط العامّة المعتمدة لديه في دعوته إلى قراءة الكتب وحثّه على التّأليف والطباعة والنشر. وفي ذلك جاءت استراتيجيّته كاملةً.

فمثلاً يقول في مقدّمة الكتاب:

«لقد ضعفتُ علاقة المسلمين بالكتاب بالرغم مما له تأثير في تطوير اللغة ونشر المعارف والعلوم وبالرغم من أنه أهمّ وسيلة لتثقيف وتوعية الأُمَّة وهو الوسيلة الوحيدة التي تمتلكها الأُمَّة، بينما سائر الوسائل التثقيفيّة بيد الحكومات وهي توجّهها لتقوية سلطتها بعمدٍ غالباً وبجهلٍ قليلاً. فتجزأة العالم الإسلامي أوجدتها الغرب ونفّذها «كوكس» و«لورنس» في بداية القرن الحالي -القرن العشرين- ولا زالت أجهزة حكّام

المسلمين تصرّ عليها، فهل يمكن أن يقال ذلك عن جهل؟

نعم، يمكن أن يقال إنّ ذلك عن جهل شاذّ منهم، وهناك عشرات الأمثلة الأخرى.

إنّ الثقافة -ومن جملةتها الكتاب- من أهمّ ما يحفظ الأمة واستقلالها وصمودها أمام غزو الأعداء، ولذا نرى الأمم الحيّة دائماً تهتمّ بالكتاب كلّ اهتمام، بينما الأمم الميتة لا تهتمّ به أيّ اهتمام.

إنّ من أسباب قوّة المسلمين الأوّلين قوّة الكتاب والعلماء عندهم، حتّى أنه خلال قرنٍ من الزمان نبغ في المسلمين خمسة آلاف عالم، وكان لنصير الدين الطوسي مكتبة تضمّ أربعمئة ألف كتاب، وكتب أربعمئة كتاب أغلبها لا زالت مخطوطة.

كما إنّ من ضعف الفُرس إبان بزوغ شمس الإسلام أنّهم كانوا أعداء العلم والتعلّم إلّا لطبقة الحكّام.

يروى التاريخ إنّ شخصاً قال لأحد ملوك الفُرس إني أعطيك كلّ رأس مالي -وكان يُعدّ رأس مالاً كبيراً- في قبال الإذن بتعلّم ولدي العلم. لكنّ الملك لم يأذن له.

والغرب إنَّما نَهَضَ باهتمامهم بالكتاب ولم يصلوا إلى مدارج الحضارة إلا بالكتاب.

واليوم من أجل أن يصل الوعي إلى مليارٍ مسلم، لابدَّ من كتابة آلاف الكتب التثقيبيَّة، ولا عجب في ذلك ف(آجاثا كريستي) طُبِعَ من كُتُبها مليار نسخة إلى غير ذلك، وهي امرأة واحدة.

وهذه الأوراق التي كتبها تُحمَلُ مثقفينا مسؤوليتهم تجاه المساهمة في طباعة الكتاب».

ومَّا قاله سباحته في هذا الكتاب: «وقد قرأتُ إنَّ الغربيين لما أرادوا التخلُّص من الدوقات والكنيسة المنحرفة أَلْفُوا عشرين ألفَ عنوان كتاب بمختلف اللغات ممَّا سبَّب لهم عصر التنوير».

ويضيف قائلاً: «نعم، إذا احتاج الغرب في التخلُّص من نير القرون الوسطى إلى عشرين ألفَ عنوان كتاب احتجنا نحن الآن إلى مئتي ألف نوع، مع أنَّ النسبة بين احتياجات ذلك الزمان وزماننا أبعد وأبعد. وإذا قرأنا بعض الاحصاءات في عالم الكتب نرى كم تأخَّر المسلمون في هذا المجال، وقد قرأتُ

أهمّ ترجموا الإنجيل إلى ألف لغة ونشروها في جميع أنحاء العالم،
وإنّه تُصَرَّف في إحدى الدول الغربيّة في العام الواحد ممّتا مليار
دولار للإعلام بمختلف أنواعه».

ويؤكّد سباحته: «وكيف لا نحتاج إلى الملايين من كتب
التوعية الإسلاميّة، وقد ألّفت امرأة غربيّة ١١ كتاباً، طُبِعَ
واحدٌ منها بـ ١٠٣ لغة، وطُبِعَ من كُتُبها مئات الملايين وقد
رأيتُ نسخةً منها باللغة العربيّة».

ثمّ يحثّ المثقّفين والمثقّفات بقوله: «وما أكثر المثقّفين
القادرين على الكتابة في بلاد الإسلام سواء كان المثقّف حوزوياً
أو أكاديمياً، وما أكثر المثقّفات القادرات على تأليف الكتب
وإنّ كُنَّ أقلّ من الأوّل، فكان لا بدّ من تشجيع الطائفتين على
الكتابة وتسهيل طَبْع الكتاب لهنّ».

إنّ أوّل مؤلّفٍ في الإسلام هو الإمام علي بن أبي طالب
عليه السلام، فقد ألّف كتاباً يُسمّى بكتاب عليّ أو (الجامعة) وفي
الروايات النقل عنه.

وأوّل مؤلّفةٍ في الإسلام هي السيّدة فاطمة الزهراء
عليها السلام، فلها كتاب هو مصحف فاطمة، وإذا علمنا أنّ السيّدة فاطمة

تزوجت وعمرها تسع سنوات وماتت وعمرها ثمانية عشر سنة وكانت تتولّى الشؤون المنزليّة الصعبة في ذلك اليوم من الطحن والعجن والخبز والكنس والطبخ وإدارة ستّة أطفال ذكور وإناث، على قول أنها ولدت بنتاً ثالثة هي رقيّة، علمنا أنّها كيف كانت تهتم مع مشاغلها الكثيرة بالكتابة بالإضافة إلى مراجعة النساء لها في مسائلهنّ.

ويحدّد سماحته أهمّ المواضيع التي ينبغي للمؤلّفين أن يكتبوا حولها، فيقول: «إنّ ما نواجهه في الوضع الحالي من المشاكل يلزمنا أن نهتم بالكتابة في مواضيع ثلاثة؛ لما تحتلّ من مكانة خاصة، ونجعل لكلّ موضوع ملياراً من الكتب».

تلك المواضيع التي يراها سماحته في درجة من الأولويّة آنذاك يذكرها كما يلي:

أ- حول توعية المسلمين بالإسلام الحقيقي.

ب- حول الردّ على الاعتداءات الفكرية ضدّ الشيعة.

ج- حول تعريف الإسلام الحقيقي للغرب.

وفي الموضوع (ب) كتب رَحْمَةُ اللهِ مَا يَدُلُّ عَلَى نَظَرِهِ الْبَعِيدَةِ
والعميقة حول الدفاع عن المذهب الشيعي في قالب الحفاظ
على الأمة الواحدة دون توفير ذرائع للفتن الطائفية أو السبِّ
البدائي واللعن العلني، فيقول تحت عنوان: (الردّ على
الاعتداءات الفكرية):

«كما يلزم أن تقوم بعض المؤسسات الدينية بطبع ونشر
ما لا يقل عن مليار كتاب لردّ الاعتداءات التي تُوجّه ضدّ
المسلمين فكرياً بسبب الكتب ومختلف وسائل الإعلام، فقد
شوّهوا سمعة الإسلام والمسلمين وأخذوا يحرفون التعاليم
الإسلامية، ولكنّ القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة
وعترته الطاهرة ﷺ هي الأساس في معرفة الإسلام.

هذا وقد طُبِعَ أخيراً أربعة كتبٍ منحرفة بملايين النُسخِ
أو ما يقاربها مثل كتاب (فصل الخطاب في تحريف الكتاب).
وكتابٌ منحرفٌ نَسَبَ مؤلّفه إلى الشيعة ما لا يقولون به،
وكتابٌ ثالثٌ حول أنّ بعض الآيات القرآنية تشير إلى شخصيّة
معينة ففسّر القرآن برأيه تفسيراً غير صحيح، وكتابٌ رابعٌ
حول (المتعة) وادّعى أنّها انحرافٌ شديد. وكان القصد من
طبع هذه الكتب الإساءة إلى نصف المسلمين وإلقاء الفتنة بين

الفرق الإسلامية».

ولم يغفل سماحته في هذا الكتاب عن إفتائه بجواز صرف جزءٍ من الحقوق الشرعية (الخمس) لطباعة الكتب التي تصبّ في تلك المحاور الثلاثة التي أشار إليها، وهو يحثّ المؤمنين أيضاً على الوصية بتخصيص ثلثٍ من أموالهم لهذا الأمر الأساسي في الحياة.

فالهدف الاستراتيجي الذي يتابعه الإمام الشيرازي الراحل (أعلى الله درجاته) من القراءة ومن الدعوة المستمرة إليها هو الارتقاء العلمي إيماناً بما يكفل إيقاف الظلم بكلّ ألوانه في المجتمع.

وهذا ما قاله في كتابه (فلسفة التاريخ): «الاستعمار، والاستثمار، وقتل الأبرياء، والسيطرة على الأفراد والشعوب، ونهب مواردها وخيراتها، ما هي إلا نتيجة أنّ العلم صار بيد أناس لا يؤمنون بالله واليوم الآخر»^(٢١).

إنطلاقاً من هذه الاستراتيجية فقد كتب الإمام الشيرازي (طاب ثراه) كتبه التالية:

٢١- فلسفة التاريخ - المرجع الشيرازي / ص ٣٣

- (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاة والسلام).
- (إلى حكومة ألف مليون مسلم).
- (السييل إلى إنهاض المسلمين).
- (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين).
- (الغرب يتغيّر).

النقطة الثانية..

استراتيجية الشيرازي الفكرية (رقم ٢)

مرجع بحجم الإمام الشيرازي (أعلى الله درجاته) الذي قرأ وكتب عقوداً من الزمن وقلبه على أمة الإسلام فإنه لم يكن يريد لها سوى أن تعود إلى دينها الصحيح فتكون بعودته الواعية شاهدةً على نفسها وعلى غيرها من الأمم.

من أجل ذلك كانت آراء المرجع الشيرازي في أعلى مرتقيات الحكمة والإعتدال والوضوح. هذا ما نجده في جميع ما قدمه رَحِمَهُ اللهُ لِلْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ وغير المسلم في سبيل ذلك الهدف العظيم.

وهنا نذكر استراتيجيته الفكرية على الصعيد الإداري،

وهو أهم ركيزة في حياة الناس سواءً على مستوى الإدارات الحكومية أو إدارة المؤسسات الشخصية أو الدينية وغيرها... وتأتي أهمية ما كتبه رحمته الله في كتابه المتميز (فقه الإدارة) من منطلقات ثلاثة حسب رأيه أيضاً:

المنطلق الأول.. الخلافات الهدامة بين المسلمين.. حيث كتب رحمته الله مثلاً:

«الخصام والمنازعات بين المسلمين إذا استمرت قد تؤدي إلى الشرك... ومن هنا نجد دعوة القرآن الكريم لرسول الله ﷺ أن يتبرأ من الذين كانوا سبباً في تفرقة المسلمين»^(٢٢).

المنطلق الثاني.. الإستعمار ووجوب معرفة العدو.. حيث كتب رحمته الله:

«... فالإستعمار يتحرك عبر خطط كثيرة جداً، ويوظف لأجل تمرير خطته الأشخاص الكثيرين أيضاً، كل ذلك لأجل تشتيت المسلمين والقضاء على إسلامهم. ولهذا نرى أنهم استطاعوا بالفعل تشتيت المسلمين..»^(٢٣).

٢٢- فقه السلم والسلام - المرجع الشيرازي / ص ٣٨٦

٢٣- المحاضرات - المرجع الشيرازي / ج ١ - المحاضرة العاشرة، ص ٢٣

المنطلق الثالث.. الحاجة إلى حركةٍ عاقلة لإنقاذ الأمة وإصلاح الأخطاء.. إذ كتب رَحِمَهُ اللهُ:

«ما من حركةٍ إلا ولها أعداء يتربصون بها الدوائر ، إلا أنَّ الفرق بين حركة العقلاء والحمقى ، أنَّ العاقل يقلل عدد أعدائه كماً ، ويخفف من شدة عداوتهم كيفاً ، عكس الحمقى»^(٢٤).

ويرى مُنْتَشِطٌ أنَّ هذه الحركة العاقلة تتولد من التفكير الموزون لا التطرف.. لذا كَتَبَ يقول:

«فعلى الإنسان أن يفكر تفكيراً موزوناً حتى ينتهي إلى العمل الموزون... أما أن يفكر (الإنسان) تفكيراً إفراطياً أو تفريطياً فإن ذلك لا ينتهي إلا إلى العمل المنحرف ، ثم العداوة والبغضاء»^(٢٥).

هذا وسماحته -رحمه الله- لما تُسَطَّرَ أنامله الشريفة على صفحات كتابه القيم «فقه الإدارة» مئةً وسبعةً وخمسين (١٥٧) صفةً لصناعة المدير الناجح إنَّها يكمل بذلك نظريته

٢٤- الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية - المرجع الشيرازي / ص ١١٢

٢٥- السبيل إلى إنهاض المسلمين - المرجع الشيرازي / ص ٢٢٤

الاستراتيجية في الإنقاذ والتي تعني أن كاتبها الشيرازي الكبير قد وضع اصبعه على أهم مصدرٍ من مصادر الظلم والفساد والتخلف ودواعي الاحتجاجات الشعبية ضد الحكومات وأدائها الإداري الفاشل.. وهو الجهل بالتخطيط الصحيح الذي يتبعه الجهل بالتنفيذ الصائب.. فترى سماحته يقدم لهذا الأمر حلاً من عصارة ما قرأه في الإدارة ومارسه في محيطه المرجعي مع فريق عمله في مكتبه ومع وكلائه المنتشرين في العالم والعاملين معه ومعهم.

فلنقرأ هنا عناوين الصفات الـ (١٥٧) في المدير الناجح لتتعرف على وجه آخر من عبقرية هذا المرجع العظيم الذي خسرت الأمة وظلمته بعض مجاميع الشيعة!!

فقد كتبَ رَحِمَهُ اللهُ في هذا الكتاب أن على المدير الناجح:

- ١ - أن يتحمّل مسؤولية أعماله في حال النجاح أو الفشل.
- ٢ - أن تكون لديه رغبة عالية في اتقان العمل وتحسينه.
- ٣ - أن يعتبر العمل متعةً يتمتّع بها.. لا ثقلاً على كاهله.
- ٤ - أن يمتلك القدرة على التنفيذ في الوقت المناسب.

- ٥ - أن يحرص على العمل تحت ضغط الوقت.. فلا يحرق الوقت بالبطالة.
- ٦ - أن تكون لديه قوة الإرادة على التنفيذ بعد الفهم والقناعة.
- ٧ - أن يثق بالناس ويعمل على أساس تحقيق النجاح.
- ٨ - أن يتقن وسائل تقوية الذاكرة.
- ٩ - أن يحافظ على القوة البدنية والصحة العامة.
- ١٠ - أن يكون صاحب رأي واضح في الأمور.
- ١١ - أن يحمل الطموح العالي.
- ١٢ - أن تكون لديه المرونة مع الثبات في السير نحو الهدف.
- ١٣ - أن يختار طريق الوسط بين الإفراط والتفريط.
- ١٤ - أن يكتسب الأفق الواسع والنظرة الشاملة.
- ١٥ - أن يستوي في شخصيته ولا يترجرج ويكون هزلاً مائعاً في فريق عمله.
- ١٦ - أن يكون له الصبر والنفس الطويل.
- ١٧ - أن يكون له ضبط النفس ليتحكم في أعصابه عند المواقف

الخرجة، خصوصاً المثيرة منها.

١٨ - أن يتّسم بالهدوء أمام الأزمات، مع الاندفاع الداخلي الشديد لحلّها، بأن يكون مندفعاً لحلّ المشكلة. وكما قال بعضهم في المثل: يجب أن يكون كالبطّ ظاهره هادئ، لكنه يضرب رجله في الماء بسرعة.

١٩ - أن يرى بعين الواقعيّة والنظرة الشموليّة، لمواجهة نسيّة الأمور في عالم الإدارة.

٢٠ - أن يحترم وقت العمل وينضبط مبتدئاً بنفسه وملتزمًا بتطبيقه على الآخرين، بالقدر الممكن.

٢١ - أن يحترم القوانين والأنظمة بتطبيقها على شخصه كما يطلبها من غيره، فإنّ المدير الذي لا يطبّق القوانين على نفسه تسقط مهابته من القلوب، ويسري ذلك في غيره أيضاً شاء أم أبى.

٢٢ - أن يكون تطبيقه للقوانين والأنظمة والتخطيط الإداري لديه بروحها وليس بحرفيّتها.

٢٣ - أن يفكّر دائماً بالمستقبل والحاضر، ولا أن يترك المستقبل للحاضر أو الحاضر للمستقبل.

- ٢٤- أن يكون حازماً ولا يتردد في اتخاذ القرار.
- ٢٥- أن يستقر على قراره بعد التأني في الوصول إليه.
- ٢٦- أن يصبر على تنفيذ قراره بعد التأني.
- ٢٧- أن يسرع الانسحاب عن القرار إن ظهر خطأه.
- ٢٨- أن يقرأ باستمرار لكسب الثقافة العامة والسعي لزيادتها.
- ٢٩- أن يتابع المعرفة لمجاله التخصصي والسلوكي ويسعى لتجديدها حسب مواكبته للثقافات الإدارية المتجددة.
- ٣٠- أن يحمل الرغبة الملحة في الإطلاع على الحياة العامة والخاصة.
- ٣١- أن يكون قادراً على التكيف مع الواقع لتحقيق الهدف بالإمكانات المتوفرة أو المتاحة.
- ٣٢- أن يتأهل بالممارسة والتجربة والخبرة.
- ٣٣- أن يكون قادراً على استخلاص الدروس والعبر من التجارب الفاشلة أو الناجحة، سواء بالنسبة إلى مؤسساته أو سائر المؤسسات.

- ٣٤ - أن تكون لديه كفاءة الدمج بين النظرية والتطبيق للحصول على أعلى مردود عملي.
- ٣٥ - أن يكون شجاعاً في التصدي لمواجهة الصعوبات، وعدم الهروب منها.
- ٣٦ - أن يتصرّف تجاه المواقف الطارئة بسرعة ومرونة، حسب ما يتطلبه الموقف.
- ٣٧ - أن يقدر على تلخيص المناقشات وشرح المواقف.
- ٣٨ - أن يقدر على عرض الرأي، والإقناع بقوة الحجّة والمنطق.
- ٣٩ - أن يقدر على النقد الذاتي، وعدم التحاشي عن توجيه النقد لنفسه، وإنما ينظر إلى النقد بموضوعية.
- ٤٠ - أن يبدي الإرتياح لظهور الحق له إذا كان على خطأ، سواء كان النقد من جهة داخلية أو جهة خارجية أو جهة نفسية.
- ٤١ - أن يكون فعّالاً مُحَرِّضاً وذا تأثير في الآخرين.
- ٤٢ - أن يثبّت التوجيهات الشفهية خطأً بالقدر اللازم.
- ٤٣ - أن لا يتراجع عن التوجيهات الشفهية إذا لزم عنها مسؤوليّة.

- ٤٤ - أن يصدق في إنجاز الوعود ويسعى لتحقيقها بكل إمكانياته.
- ٤٥ - أن يحمل الأمل ويفرض الإستسلام لليأس أو القنوط، خصوصًا إذا كان موضع القنوط الإحباط.
- ٤٦ - أن يعيش التفاؤل والتطلع للمستقبل.
- ٤٧ - أن يمارس السعي الدائب لاكتساب العادات والصفات الجيدة، والتطبع عليها.
- ٤٨ - أن يهتم بالعناية المتوازنة والمستمرة في المجالات الرئيسيّة للإدارة.
- ٤٩ - أن ينصف بينه وبين سائر الناس، سواء كانوا رؤساء أو مرؤوسين أو الجماهير المرتبطة به.
- ٥٠ - أن يحاول التنبؤ للمستقبل والإهتمام به والتطلع الدائم لمعرفة المستقبل من الأسباب الموصلة إليه عادة.
- ٥١ - أن يكون قادرًا على تحديد الأهداف الأساسيّة البعيدة المدى.
- ٥٢ - أن يمتلك شموليّة النظرة والمعالجة، فإنّ النظرة الجانيّة

كالمعالجة الجانبية تُسبب الخبال.

- ٥٣ - أن يرتب سعيه لتنفيذ الأهداف ضمن أولويات متوازنة
- ٥٤ - أن يتعرّف على البيئة المحيطة والتكيف معها.
- ٥٥ - أن يجمع الإمكانيات لتنفيذ الأهداف.
- ٥٦ - أن يقتصد في الإمكانيات وترشيد استخدامها.
- ٥٧ - أن يتعرّف على برمجة الأعمال الخاصة به أو بالمؤسسة التي يعمل فيها.
- ٥٨ - أن تكون لديه الروح التنظيمية وثقافة الترتيب، فإن الإنسان إذا ربى نفسه على التنظيم والترتيب تطبّع بهذه الروح حتى تأتي منه الأشياء تلقائياً.
- ٥٩ - أن يحسن توزيع العمل على المرؤوسين حسب قدراتهم، ويهتم بالتعرّف على هذه القدرات وتطويرها.
- ٦٠ - أن يراعي الموضوعية في اختيار العناصر، لإشغال الوظائف عنده، لا بنحو المحاباة أو الأهواء أو المحسوبية والمنسوية، وما أشبه.
- ٦١ - أن يبسط قنوات تواصله مع الآخرين ويقوم بتحديث

نظام الإتصالات وأدواته.

٦٢ - أن ينسّق بين نشاطات الأقسام المختلفة.

٦٣ - أن ينسّق بالتزامن مع أعمال الجهات أو العناصر المشاركة الأخرى بالتنفيذ.

٦٤ - أن ينسّق وبالتعاون مع الجهات الأعلى، والموازية، والجهات الأدنى.

٦٥ - أن يجعل فعّالية وحدته منسجمةً مع الوحدات الأخرى، كجزءٍ من كلِّ متماسك.

٦٦ - أن يحسن استخدام الوقت وتوزيعه، مع عدم التضيق الموجب لعدم الرضا.

٦٧ - أن تكون قراراته واضحةً ومتأنيةً وبعيدةً عن المزاجية والأهواء والميول.

٦٨ - أن يهتم بالتدريب المستمر لشخصه ولفرؤوسيه، أفراداً وجماعات حتى يكون دومًا مدرِّبًا ومتدرِّبًا.

٦٩ - أن يشجّع البحث العلمي والتطلّع إلى الأمور المعاصرة محلياً وعالمياً.

- ٧٠- أن يقوم بتحليل تجارب الآخرين الفاشلة أو الناجحة، والاستفادة منها.
- ٧١- أن يكون قادرًا على ترتيب السلطة التي بيده ومتابعة تحقيق الأهداف الرئيسية.
- ٧٢- أن يقلل الدخول في التفاصيل كلما ارتفع المستوى، لأنه إذا دخل في التفاصيل، فاته المستوى الأرفع الذي هو مقصوده.
- ٧٣- أن يشجّع على العمل الجماعي على نحو الإستشارية.
- ٧٤- أن يقوم بخلق روح التنافس بين المجموعات العاملة تحت يده أو الذين هم معه، وإذا تمكّن من خلق مثل هذه الروح في المراتب العليا أيضًا فليفعل.
- ٧٥- أن يشجّع المبادرات الفردية والجماعية والإبتكارات.
- ٧٦- أن يفسح المجال لظهور المرؤوسين الأكفاء، حتى يتمكنوا من التقدم إلى الأمام.
- ٧٧- أن يصدر القرار في الوقت المناسب.
- ٧٨- أن يتخذ القرار المفهوم للمنفذين.

٧٩- أن يوفر الإمكانيات الواقعية لتنفيذ قراراته.

٨٠- أن يكون صامداً على الأهداف والواجبات والقرارات التي يريدها.

٨١- أن يكون قادرًا على توجيه ومساعدة مرؤوسيه في تذليل الصعوبات والتعاون معهم.

٨٢- أن يكون موضوعياً في استخدام وتوزيع الحوافز المادية والمعنوية.

٨٣- أن يقوم بتقوية نظام الإحصاء وترتيب المعلومات، حتى تكون ملكة عادية بالنسبة إليه وبالنسبة إلى من يتمكن من التأثير عليه.

٨٤- أن يتعود على تنظيم دوري لأعماله وأعمال وحدته.

٨٥- أن يحبّ العمل الميداني والقرب من مواقع التنفيذ.

٨٦- أن يتابع سير تنفيذ توجيهاته وقراراته بحزم واستمرار.

٨٧- أن تكون عنده القدرة على معرفة أسباب الخطأ ومعالجتها.

٨٨- أن يحافظ على أسرار الوحدة السارية في روح المؤسسة.

- ٨٩- أن يحافظ على ممتلكات المؤسسة.
- ٩٠ - أن يسعى دؤوباً لتطوير التعليمات وأساليب العمل وتبسيطها.
- ٩١- أن يعمل لتحديث أدوات الإدارة باستمرار، سواء كانت الأدوات باشتراء أو باستئجار.
- ٩٢ - أن يعمل على تكوين وتقوية الفئة الإحتياطية من الإداريين والإختصاصيين، على ما ألمحنا إليه سابقاً، حيث يحتاج العمل إلى الإحتياطي.
- ٩٣- أن يحتفظ بإمكانات إحتياطية لمواجهة الظروف الطارئة.
- ٩٤ - أن يعمل على جاهزية إداراته لاستمرار عملها بوتيرة مناسبة في الحالات العادية أو الطارئة.
- ٩٥ - أن يمارس الوظائف العامة للإدارة بشكل متكامل ومتوازن.
- ٩٦ - أن يقوم بالتغيير المناسب للإدارات أو الأشخاص أو الآلات، إذا اقتضت الظروف ذلك.
- ٩٧- أن يحرص على الاحترام المتبادل مع الرؤساء والمرؤوسين

والزملاء والجماهير، إذا كان محلّ احتياجهم منطلقاً من احترام الذات واثقان العمل الشخصي.

٩٨ - أن لا يمسّ بمن سبق ويشهّر بمن هو في الحال رئيس أو مرؤوس أو زميل له، وكذلك الأمر بالنسبة للجماهير المتعاملين معه.

٩٩ - أن يهتم بالروح المعنويّة للمرؤوسين وأوضاعهم المادية.

١٠٠ - أن يتعامل مع العاملين كبشر وليس كأشياء، على ما سبق الإلماع إلى مثل ذلك.

١٠١ - أن يهتم بالعلاقات الاجتماعيّة نحوهم وبتقاليدهم وأعرافهم.

١٠٢ - أن يلتزم البساطة والزهد الشخصي.

١٠٣ - أن لا يربك المرؤوسين، ولا يكثر الأوامر عليهم وانتقادهم.

١٠٤ - أن يرفع كفاءاتهم باستمرار، ويظهر مواهبهم ويمدح مبادراتهم.

١٠٥ - أن يسعى لخلق عناصر كفوءة احتياطية، حتى يكونوا

- رؤساء الأقسام وما أشبهه - وهذا غير ما تقدّم من الإحتياطي - .
- ١٠٦ - أن ينسب النجاح إلى نفس الناجح، لا أن يجعل النجاح من حصّته، كما أنه إذا كان النقد واردًا على نفسه بيّن ذلك من دون أن ينسبه إلى غيره .
- ١٠٧ - أن يتكلّم باحترام ويقول عن نفسه نحن ولا يقول أنا .
- ١٠٨ - أن يلتزم المشورة والروح الإستشاريّة في المناقشات .
- ١٠٩ - أن يكون حازمًا في تحمّل مسؤوليّة القرار وتنفيذه .
- ١١٠ - أن يشجّع على العمل الاجتماعي والتعاون بين العناصر .
- ١١١ - أن يعتمد على العناصر الكفوءة، ويوجد التنافس الشريف بينها .
- ١١٢ - أن يحسن التعامل مع الرؤساء والزملاء والمرؤوسين والجمهور .
- ١١٣ - أن يقوم بتمرين النفس وتدريبها على السيطرة وفرض الانضباط .
- ١١٤ - أن يحترم سلطات وصلاحيّات المرؤوسين، ولا يتجاوز التسلسل .

- ١١٥ - أن يمتلك الثقة بالنفس.
- ١١٦ - أن يمتلك الثقة بالآخرين مع حُسن الرقابة وحُسن الظن، بما لا يكون موجباً للخبال.
- ١١٧ - أن يجسم الخلافات بالسرعة الممكنة، وبالعدالة والإنصاف والإحسان.
- ١١٨ - أن يلقي روح الوثام والأخوة بين العناصر.
- ١١٩ - أن يكون هو المقدم في كل أمر يأمر به المرؤوسين، فإن الرئيس أسوة، فإذا رأوا انه يعمل بما يقول عملواهم أيضاً وإلا كسلوا.. وكذلك في النواهي.
- ١٢٠ - أن يساعد المرؤوسين في تنفيذ واجباتهم، وتوضيح طريقة التنفيذ وإرشادهم إلى أفضل الطرق.
- ١٢١ - أن يساعد المرؤوسين والزملاء وأيضاً الرؤساء على تصحيح الأخطاء وتجاوز الصعوبات.
- ١٢٢ - أن يهتم بأن يكون قدوةً حسنةً ليس للمرؤوسين فحسب، بل وحتى الزملاء وحتى للرؤساء، فإن الإنسان الحسن السيرة يكون قدوةً لمن فوقه أيضاً.

- ١٢٣ - أن يصارح ولكن بدون تجريح وإنما بالمداراة.
- ١٢٤ - أن يوجد الثقة المتبادلة بينه، وبين الجوانب الأخرى.
- ١٢٥ - أن يسعى للوصول إلى المحبوبيّة لدى المرؤوسين والرؤساء والزملاء.
- ١٢٦ - أن يتعد عن الشعبيّة الرخيصة.
- ١٢٧ - أن تتوفر لديه الجرأة الأدبيّة تجاه الرؤساء والزملاء والمرؤوسين.
- ١٢٨ - أن يحسن الاستماع إلى كلام الآخرين لأن الاستماع الحسّن من أسباب استقطاب المتكلم حول نفسه.
- ١٢٩ - أن يهتم بفهم وجهات نظر الآخرين، وإن كانت مخالفة لآرائه، ولا يغتر ويجعل رأيه فوق آرائهم.
- ١٣٠ - أن لا يرفع صوته على الآخرين، ولا يصرخ خلال المناقشة مع المرؤوسين، ولا يحدث الضوضاء.
- ١٣١ - أن يستفيد من تجارب الذين سبقوه وخبراتهم ولا يظهر نفسه أفهم منهم، كما يتفق ذلك في كثير من المغرورين والجهلاء.

١٣٢ - أن يكون له شعور بالانتماء والولاء للمؤسسة، وتنميتها لدى مرؤوسيه.

١٣٣ - أن يقوم بالدعاية الواقعية للمؤسسة وشرح أوضاعها بموضوعية.

١٣٤ - أن تكون فيه الجدّية في موضع الجد، والدمائة في موضع الدمائة، وفي المثل (لا تَكُنْ يَابِسًا فَتُكْسِرَ، ولا تَكُنْ لِينًا فَتُعَصِّرَ).

١٣٥ - أن يؤيد المرؤوسين على ممارسة الصلاحيات وتحمل المسؤوليات وأن يجعل الرجوع إليه في حالات استثنائية فقط.

١٣٦ - أن يطبق مبدأ الثواب والعقاب في المرؤوسين بدون المحاباة ونحو ذلك مما يوجب قلة الهيبة والعنف.

١٣٧ - أن يبسط إجراءات التعامل مع الجمهور، وقد ذكرنا شرحاً حول التبسيط في بعض مسائل هذا الكتاب.

١٣٨ - أن يوجد الجو المناسب لتعامل المواطنين مع المؤسسة، وإبعاد النظرة الفوقية بالنسبة إليهم.

- ١٣٩ - أن يتقَصَّى صدور القرارات والإجراءات على الجمهور معنوياً ومادياً.
- ١٤٠ - أن يصحَّح الأخطاء، كلما انكشف له الخطأ، وذلك للسير بالمؤسسة إلى الأفضل.
- ١٤١ - أن يحترم نفسه ويشعرها بالعزّة الإيمانية.
- ١٤٢ - أن يلتزم بحدود الشرع.
- ١٤٣ - أن يحبَّ عمله في المؤسسة التي يرأسها.
- ١٤٤ - أن يكتسب الذكاء وسرعة البديهة، فإنَّ الإنسان قابلٌ بأن يُنمِّي في نفسه أمثال هذه الصفات، ولو بقدر ما تتحمّله ظرفيته.
- ١٤٥ - أن يحافظ على إخلاص النية.
- ١٤٦ - أن يتواضع ولكن مع الاعتزاز بالنفس، والبُعد عن الغرور أو التعالي.
- ١٤٧ - أن لا يكون ذاتياً أو انفعالياً مزاجياً.
- ١٤٨ - أن يكون صادقاً مع الرؤساء والزملاء والمرؤوسين والجماهير.

- ١٤٩ - أن يتعد عن الوشاية.
- ١٥٠ - أن تكون عنده الورع والنزاهة.
- ١٥١ - أن يكتسب قوّة الاحتمال والصبر والمثابرة والاستقامة.
- ١٥٢ - أن يداوم على النشاط البدني والتريّض باعتدال، ويمكن تحصيل ذلك بواسطة الرياضات الخفيفة ونحوها.
- ١٥٣ - أن يحتفظ بداخله طيبة القلب وكرم النفس.
- ١٥٤ - أن يعتبر الوظيفة مسؤوليّة أكثر من كونها وجهةً ومعاشاً.
- ١٥٥ - أن يعتبر المصلحة العامة كأنها مصلحة خاصة، وتقديم مصلحتهم على مصلحته الذاتيّة.
- ١٥٦ - أن تكون لديه القدرة على الفصل بين المصلحتين، حتى لا يتصوّر أن مصلحته مصلحة العامة أو بالعكس.
- ١٥٧ - وأخيراً بل وأوّلًا .. أن يكرّس المدير الناجح في نفسه روح التوكل على الله سبحانه والاستعانة به، والإستخارة بأن يطلب الخير من الله سبحانه وتعالى فيما يريد أن يفعل أو يدع.

النقطة الثالثة..

استراتيجية الشيرازي الفكرية (رقم ٣)

(فقه المستقبل).. وهذا عنوانٌ متقدّمٌ جدًّا على زماننا الذي قلّت فيه القراءة الاستشراfiّة للمستقبل في أوساط المسلمين.. ولكنّ المرجع الشيرازي طرق هذا الباب بقوة علمه وسعة معلوماته وعلوّ همّته حتى أنجزه وهو مُحاطٌ بأكثر من أزمة وأزمة وهمومٍ صعبة وخانقة.. وهو يحمل ثقل التفكير فيما يحتاجه المسلمون من عوامل الرقيّ الأخلاقي والانتقال الحضاري لو أرادوهما وشدّوا إليهما الرحال.

(فقه المستقبل).. هو العنوان الذي اختاره الفقيه الشيرازي فكان به أوّل مرجعٍ دينيٍ يقدّم لأُمَّته أطروحاته الرياديّة حول قواعد البناء المستقبلي لمصالحها الفكرية والاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والعسكريّة والتعليميّة...

مرجعٌ دينيٌّ يفكّر بهذا المستوى من الطموح العالي لم يكن سوى الرجل الذي قرأ في كلّ العلوم المتاحة بين يديه قراءةً هادفةً قد استولت على جميع وقته من أجل غايات نبيلة ومقاصد رفيعة...

ولعلّ هذا الجانب في أطروحته تُنَبِّئُ المتميّز عن غيرها من
أطروحات الإسلاميين بصورة عامّة هو تشييده لها على أسس
ذات ثلاثة دعائم متداخلة:

١ / دعامة الأصالة، وتعني عنده الإتصال بالماضي المجيد
لهذه الأمة المتمثّل في ثوابت دينها الإسلامي الحنيف وإنجازاتها
الإيجابيّة.

٢ / دعامة المرحلة الراهنة، وتعني عنده ترتيب الأولويّات
الفعليّة، وذلك بالتفكير من خارج صندوق الأزمات
وتعقيدها.

٣ / دعامة الصورة الواضحة عن المرحلة القادمة، وتعني
عنده رسم الخطوط العامّة لها بالتفصيل العملي من أجل السّير
عليها ذهاباً إلى مستقبل أفضل.

فما أحوج أمتنا اليوم التي تتقلّبها الإعصارات من كلّ حدبٍ
وصوب إلى قادةٍ يقدّمون لها خريطة الطريق من حاضرها إلى
مستقبلها وبعينٍ بصيرةٍ تشقّب عمق التاريخ.. وأخرى باصرةٍ
لمحيط زمانها.. وثالثةٍ تنظر إلى القادم ومتطلّباتها الواعدة.

تسمو قيمة هذا الفكر الاستراتيجي عندنا لما نقرأه عند

المرجع الشيرازي مشحوناً بالأدلة القرآنية ومدعوماً بالروايات المتناسقة معه.

وتتأكد هذه الحاجة الأساسية إلى قادة بهذا المستوى الفكري الممنهج عندما نعرف كثرة الضائعين عن الجادة، وهم فئتان:

أ- الذين حاولوا التسلّق إلى وَهْمِ الحداثة فوقعوا في فتنة التخلّي عن الأصالة وإذا بهم يعطونها ظهورهم مستهزئين.

ب- الذين جمدوا مكانهم ونبذوا كلّ شيءٍ متّصلٍ بالتغيير ومواكبة حركة الأمة.. يجترّون الماضي بلا روح و ينتظرون المعجزة من السماء التي لن تمطرها من غير وعيٍ وسعيٍ.

فبين هذا الجمود الذي أنتج التخلّف عن مسؤولية القيم الفاضلة وبين ذاك الانفلات الذي أنتج التحرّر من هذه المسؤولية -وكلاهما يلبسان ثوب الدين الإسلامي مع الأسف- تتجلّى عظمة المنهج الوسطي في فكر الإمام الشيرازي الذي شقّ طريقه لهندسة مستقبل الإسلام وتقدّم المسلمين بقرائته المتوازنة الخالية من الإفراط والتطرّف ومن التفريط والتخاذل. وهو ما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «الْيَمِينُ

والشَّالُ مَضَلَّةٌ وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ»^(٢٦).

وهكذا نرى أنّ ما قدّمه الإمام الشيرازي الراحل في هذا الحقل هو إنجازٌ جديرٌ بالاهتمام في أوساط المفكرين الاستراتيجيين ويفرض عليهم هذا الاهتمام إخلاصهم لضرورات الإنقاذ - إن كانوا مخلصين حقاً وصدقاً - حيث الإخلاص يتطلّب الإنفتاح على أصحاب المبادرات الإستشرافية من نوع الشيرازي دون الحسابات الأخرى المتصلة بضيق الأفق والتخندق الفئوي المسؤولين أولاً وأخيراً عن تخلف المسلمين وسقوطهم الحضاري.

لمعرفة هذا الموضوع بكلّ ما له من ضرورةٍ وأهميّة ومع رعاية الإيجاز ننقل هنا بعض ما كتبه الإمام الشيرازي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في هذا الكتاب القيم (فقه المستقبل) وسنعرف كم كان في قراءته ينتقي مختاراته ولا يصرف وقته في قراءات غير هادفة.

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مقدّمة كتابه:

«فهذا كتاب (فقه المستقبل) ذكرنا فيه مباحث تتعلق بمستقبل الإنسان القريب والبعيد. ومستقبل البشريّة في عهد

ظهور الإمام الحجّة المنتظر (عَجَّلَ اللهُ تعالى فَرَجَهُ الشريف) ومستقبل الإنسان في القيامة مع جملة من المباحث الأخرى».

ثم ينتقل سماحته إلى مدخل الكتاب ليذكر القارئ بأهمية الأهداف الكبيرة في الحياة. ثم يقسّم مباحث كتابه إلى باين ويكتب في الفصل الأوّل من الباب الأوّل عن معرفة المستقبل والتخطيط لصناعته، ويتكلّم حول الإهتمام بمصالح الأُمَّة، وحول مسألة تراحم المصالح، وحول عنصر التفاؤل والأمل.

وهنا أيضاً يتحدّث سماحته عن التكاملية بين القيم والواقع ويقدم مجموعة مقاييس حول انفصال الواقع عن القيم داعياً إلى تفعيل عاجلٍ لقضايا إصلاحية.. أبرزها:

- إلغاء الرِّبا.
- نشر الأخلاق الحميدة.
- إعادة برمجة صندوق النقد والبنك الدوليّين.
- إلغاء الحروب من العالم.
- إلغاء حق الفيتو وتعديل التمثيل الدولي في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

- محوريّة الإنسان وحقوقه.
- إلغاء الضرائب وتحقيق العدالة.
- إلغاء التعذيب في السجون.
- التقليل من حجم القوانين التي تكبّل حرية الإنسان الصحيحة.
- التأكيد على التعايش السلمي.
- نشر الثقافة وتوسعة نطاقها.
- المحافظة على ثروات الأجيال.
- إلغاء الطبقية.
- تطوير الزراعة وتوسيع دائرتها.
- الإعمار والتوسّع العمراني.
- حقوق المرأة.
- زوال الإستعمار بشتّى أشكاله.
- زيادة المعارف والعلوم.

● تقوية الإيمان بالله.

ثم ينتقل إلى الفصل الثاني من الباب الأوّل نفسه فيكتب (طاب ثراه) حول المنهجية في الدراسة، وحول مراكز الدراسات المستقبلية في العالم. ويقدم هنا منهجاً في التنبؤ بالمستقبل من خلال عاملين:

١. دراسة الماضي.

٢. انتقاء الأحداث.

ولا يغفل الشيرازي هنا عن الحديث حول موازين العقل والمنطق في عملية التنبؤ مستعرضاً على سبيل المثال سقوط المعسكر الشرقي وموت الشيوعية كمثالٍ معاصرٍ على انتفاء العاملين المذكورين.

وفي الباب الثاني من هذا الكتاب الرائد في مجاله الحضاري قام المرجع الشيرازي بتقسيم المستقبل إلى ثلاثة أقسام:

تحدّث في الفصل الأوّل عن القسم الأوّل منها وسماه «المستقبل المنظور» حول أسباب تحلّف المسلمين، وتكلم عن مصير الحضارة الغربية داعياً إلى تصحيح مسارها دون إسقاطها، حيث الإسقاط يتطلّب العنف وهو لا يتبناه في

مشروعه التغييري. ثم يأتي رَحْمَتُهُ إلى بيان مقومات النهضة الإسلامية داعياً إلى دعم عنصرين من أقوى عناصرها ضرورةً في التنفيذ، وهما:

١ / الوعي.

٢ / التنظيم.

ثم يشير سماحته في هذا السياق إلى مشكلة الحكّام في بلاد المسلمين ويحثّ بقوة على ضرورة معرفة الحياة.

وتحدّث في الفصل الثاني عن القسم الثاني منها وسماه «المستقبل غير المنظور» وذلك حول المستقبل في ظلّ الإمام المهدي.. فكتب عن هذا المستقبل على صعيده السياسي والإقتصادي والإجتماعي والديني والعمراني والتجاري والأمني والقضائي والثقافي والحضاري.

وتحدّث في الفصل الثالث عن القسم الثالث منها وسماه «المستقبل الأخروي»، فكتب حول مسألة الموت والحياة في الآخرة، وكتب حول نموّ الإنسان في عالم البرزخ.. وذكر هنا مسألة تجسّم الأقوال والأعمال في يوم القيامة ومفهوم الشهود.

وفي خاتمة كتابه تكلم المرجع المفكر سماحة الإمام الشيرازي عن الأرواح والأبدان في المعتقد الإسلامي مبيناً مفهوم الخلود في أجمل تطلعات الإنسان الفطرية.

بذلك فقد ربط الفقيه الشيرازي سلسلة الأزمنة الثلاثة (الماضي ، والحاضر ، والمستقبل) في إطارها الزمني ذاهباً إلى ترسيخ فكرة الإسلام بكامل أجزائه كبديل ضامن وبكل ثقة إسعاد الإنسان في الدنيا حتى إيصاله إلى خلوده في نعيم الجنة.

هكذا ينتصر الشيرازي لعقيدة الهدية في الحياة ونفي العبيية، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢٧). واستناداً إلى قول الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيها الناس، إِنَّا خَلَقْنَا وَإِيَّاكُمْ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ، وَلَكِنَّكُمْ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ تُنْقَلُونَ، فَتَزَوَّدُوا لِمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ وَخَالِدُونَ فِيهِ»^(٢٨).

حقاً إن الكتابة في هذه العناوين الراقية والتي تنظر مباشرة

٢٧- سورة المؤمنون / ١١٥

٢٨- أمالي - الشيخ الطوسي / ص ٢١٦

إلى مشاريع الإنقاذ البشري والتنمية الإنسانية في أوسع
تصوراتها تحمل دلالة لا يسري إليها شكُّ على أن القراءة
المنهجية والهادفة وذات الصفة الإسلامية الأصيلة كانت
من صميم الاهتمامات العلمية في شخصيّة المرجع الشيرازي
منذ انطلق نحوها في صغره وهو يتحرّك على خطّ النجاح في
الدنيا والفلاح في الآخرة.. حتى كان بقراءته الممتدّة على عقود
عمره مصداقاً للحديث المرويّ عن الإمام عليّ عليه السلام: «العِلْمُ
فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ» (٢٩).

وجاء عن ولده الإمام الحسن عليه السلام أنه دعا بنيه وبني
أخيه فقال: «إِنَّكُمْ صِغَارُ قَوْمٍ، وَيُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ
آخِرِينَ، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ أَنْ يَحْفَظَهُ فَلْيَكْتُبْهُ
وَلْيَضَعْهُ فِي بَيْتِهِ» (٣٠).

أجل.. وإن ذلك مما لا يُعذّر فيه الإنسان يوم القيامة حينما
يأتي ربّه - عزّ وجل - متهاوناً فيسأله الله هل كانت حياته
مبنيةً على أساس العلم أم على أساس الجهل؟!!

وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام هذه الحقيقة في قوله: «إِنَّ اللَّهَ

٢٩- منية المرید - الشهيد الثاني / ص ٣٤٠

٣٠- كنز الفوائد - أبي الفتح الكراچكي / ص ١٤٧

تعالى يَقُولُ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَبْدِي أَكُنْتَ عَالِمًا؟

فإن قال: نَعَمْ. قال له: أَفَلَا عَمَلْتَ بِمَا عَلِمْتَ؟ وإن قال: كُنْتُ جَاهِلًا. قال له: أَفَلَا تَعَلَّمْتَ حَتَّى تَعْمَلَ؟ فَيَخْصِمُهُ»^(٣١).

وعلى ذلك فقد أَلَّفَ المرجع الشيرازي الراحل كتابين أحدهما بعنوان «الكتاب دعامة الحياة» والآخر بعنوان «الكتاب من لوازم الحياة».. ومما كتب في هذا الأخير قوله: «الأمم الحية دائماً تهتم بالكتاب كل الاهتمام، بينما الأمم الميتة لا تهتم به أي اهتمام»^(٣٢).

٣١- أمالي - الشيخ المفيد/ ص ٢٢٨

٣٢- الكتاب من لوازم الحياة - للمرجع الشيرازي / ص ١١

الركيزة الثالثة وفيها محطتان:

المحطة الأولى..

معاناة الشيرازي في ظلّ الجهل به:

تعود كلّ المظالم والعداوات إلى رذيلة الجهل الحقيقي التي تقابلها فضيلة العقل الحقيقي. والإسلام حينما جاء للقضاء على الظلم والعداوة قرّر أولاً القضاء على الجهل وجنوده ذاهباً نحو تقوية العقل وجنوده ولذلك ابتدأت كتبنا الروائية أحاديثها من أول باب هو (باب العقل والجهل).

وكان المصلحون في طول التاريخ يعانون من هذا الظلم وعداوة الجاهلين.. إلا أنهم وتأسياً بالأنبياء ونبيّ الإسلام وبالأوصياء وأوصياء نبيّ الإسلام صبروا وظفروا بصبرهم حتى أقرّ الله عيونهم بالأجر الكبير عنده وبالذكر الحسن على

ألسنة الطيبين في الدنيا.. وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ
رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
حَسِيبًا مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي
يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا
* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى
اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا
كَبِيرًا * وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣٣﴾.

من أجل ذلك ما كان عند الله ولا في الواقع البشري
السليم يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ولذا حتى
الفطرة الإنسانية دائماً تشيد بالذين يعلمون وتميل إلى حبهم؛
لأن العلم نور والجهل ظلام، ومن المعلوم أن طبيعة العيش
في الظلام هي التصادم.. وعندما يزيل العلماء غشاوة الجهل
عن أعين الناس وتذهب عنهم الظلمة فيعرفوا الحقيقة في ظل

النور سيأسفون على ما فاتهم من بركات العلم والعلماء.

لذلك قد شبّه الإسلام وجود العالم بين الجهّال بوجود الحيّ بين الأموات، إذ الأموات كما لم يعرفوا قيمة الحيّ الأسير بيهنم فلم يقدرّوا مكانته، فيؤذونه بروائحهم التنتة كذلك الجهّال لم يعرغوا قدر العالم فيؤذونه بروائح سلوكهم التنتة.. وهنا كم لهذا العالم من منزلة عند الله وهو يقاوم ازدراء الجهّال ويداري الموقف معهم في سبيل إنقاذهم مما هم فيه بتعليمهم ما ينفعهم وتركيّتهم ما يسعدهم.

وجاء في الشعر المنسوب إلى الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
عَلَى الْهُدَى لِمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَقِيْمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ
وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَقُمْ بِعِلْمٍ وَلَا تَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا

فالنّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ^(٣٤)

من أجل ذلك فقد كان المرجع الموسوعي المجدّد للفكر الإسلامي المعاصر سماحة آية الله العظمى السيّد محمد الشيرازي

٣٤- شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الخائري / ج ٢ - ص ٣٨٨

(أعلى الله مقامه) دائم الحثّ على القراءة وطلب العلم وتهيئة
المسلمين ونشر الوعي بين الشباب بشكلٍ خاص كي ينسف
الجهل ويمنع الظلم قدر الممكن والمستطاع، فكان يخاطب
الذين يزورونه وخاصّةً فئة الشباب بكلمات مثل:

إقرأوا...

أدرسوا...

ألفوا...

إحفظوا...

أسسوا في بيوتكم مكتبات للكتب...

إعملوا في مجال الفكر والتوعية والترويج لثقافة التفكير
وحبّ الاستطلاع...

إدفعوا من أموالكم لكلّ مشروع يُخْرِج الناس من ظلمات
الجهل إلى نور العلم...

وما كان زائرٌ يزوره حتّى يسأله عن مستواه الدراسي وأنّه هل
يقرأ؟ وهل يقتني الكتاب؟ وهل يذهب إلى عالم الدين في المسجد؟

ثمّ يأخذ في تشجيعه على الزيادة في طلب العلم، ويطلب
منه أن يشجّع غيره على الصداقة مع الكتاب وجعلّ القراءة

جزءاً من أعماله اليومية.. ويقول له شجّع أسرتك على حبّ القراءة وتحصيل العلم واحترام الكتاب والجلوس مع العلماء. وهكذا كان بنفسه (رضوان الله عليه) منذ بداية حياته. يذكر نجله الأكبر الفقيه السعيد آية الله السيّد محمد رضا في كتابه (خواطر عن السيّد الوالد): «كان الفقيه يعتقد بأهمية التأليف ويرى أنّه قاعدة مهمّة من قواعد النهضة الحضارية، وكان ينتهز كلّ فرصة للتأليف، كما كان يحرّض الآخرين على ذلك».

ويقول الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه (قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الأشرف): «السيّد الشيرازي منذ شبابه الأوّل حتّى شيخوخته الفتيّة، وفي ستين عامًا من عمره المبارك، كان حريصًا على التأليف، مؤثّرًا له على سواه من الأعمال».

ويضيف الدكتور الصغير وهو الشخصية العلمية التي كان بمثابة مستشار أمين لمراجع النجف الأشرف الثلاثة المعروفين السيّد محسن الحكيم والسيّد الخوئي -رحمهما الله- والسيّد السيستاني -حفظه الله-.. يضيف في كتابه المذكور قائلاً: «ويمكنني مع الضغط الشديد والضوء المعمّق تصنيف مؤلفات السيّد الشيرازي إلى ثلاثة مجاميع رئيسية:

أ- المادة التخصصية في التشريع، وتشتمل على علم الحديث والسنة والفقه والأصول، وتضم بين دفتيها مباحث الرواية والدراية وتصنيف الرواة حديثاً، وعلى مباحث العبادات جميعاً والمعاملات والعقود والإيقاعات والدييات والقصاص والموارث فقهاً، وعلى مباحث الألفاظ والأصول العلمية أصولاً، وفيها كل ما يتصل بحياة الاجتهاد والاستنباط والنظر العقلي والتدقيق في أدلة الأحكام ومعالم البحث العالي الخارج.

ب- كتب الاحتجاج والمناظرات والمقالات الإسلامية في الدفاع عن ثوابت الإسلام وأصول مبدأ أهل البيت وجذوره، وحياة العقل الإنساني في الفطرة من ينابيعها الأولى، والتعريف بحياة التشريع نظريةً وتطبيقاً، والتعريف بالإمامية بمختلف أطاريحها فكرياً ونظاماً وعقائد وأصولاً ونظريات وفلسفة، ونصوصاً ظاهرة.

ج- كتب الثقافة الإسلامية: وهي مجموعة كبرى من المؤلفات «الهادفة» كبيرة وصغيرة ومتوسطة في الحجم، روعي في تأليفها التيسير والتبسيط ووضوح العبارة وحادثة الأسلوب».

وهكذا نستطيع القول أن كلَّ جهده رحمته كان منصباً لإنقاذ الأمة بتوحيدها بالإسلام الصحيح.. فكان يدعو جميع

مكوّناتها إلى تسعة مبادئ رئيسية:

- (السّلم واللاعنف) كوسيلةٍ وهدف.
- (التعددية) كواقعٍ يجب احترامه.
- (الحرية) كحقٍّ للجميع.
- (الحوار) كأسلوبٍ للحلّ.
- (الأخوة) كقيمةٍ إنسانية.
- (الوحدة) كمشروعٍ نهضوي.
- (الشورى) كآليةٍ قرار.
- (الأخلاق) كميثاقٍ شرف.
- (التسامح والتعايش) كأصلٍ وضرورة.

ولكنّه رغم ذلك كلّه فقد ناله ظلمٌ كبيرٌ من الذين جهلوه
والذين حسدوه والذين تأمروا عليه وهم يعرفونه، فما من
شخصٍ التقيتُ به وحاورته على امتداد أربعين عامًا وهو
يبغض هذا العالم الربّاني الفدّحتي خرج من عندي معترفًا بأنّه
لم يقرأ عنه من قبل وإنما اعتمد في معلوماته ضدّه على «وكالة
أنباء: سمعتُ يقولون»!!

هذا باستثناء الخبثاء الذين لم يحاوروا أساسًا وهم يزدادون

بُغْضًا له فوق بُغْضٍ، وإذا سألتهم هل تعرفون مَنْ تبغضون وتتكلمون عليه.. لم تجد حالهم يختلف عن حال الذي مرّ على جماعة يضربون رجلاً ويركلونه بأقدامهم.. فاستغرب من هذا الظلم فنادى أحدهم وكان يضرب بكل «إخلاص وحماس» فسألهم ما بكم وهذا المسكين.. فقال: لا أدري.. رأيتُ هؤلاء يضربونه فأنا بدأتُ أشاركهم!!

هذا هو حال كلّ الذين يضربون في الشيرازي ولا أستثني منهم أحدًا بيني وبين الله...

حدث مرّات ومرّات أن أسأل بعضهم أحيانًا في لقاء عابر بالمجالس: هل قرأتم عن السيّد الشيرازي من مصادر صحيحة فبنيتُم مواقف الكراهية ضده؟ وهل قارنتم بين كلام الموافق والمخالف على نحو الحياد ثمّ قرّرتم هذه الضغينة المحرّمة؟
فما كان ردّهم إلا التكابر!!

ولا كأنّ الله تعالى قد نهاهم عن هذا النمط الفاسد من أخذ المعلومات وبناء المواقف الكيديّة، حيثُ قال في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣٥).

شيءٌ غريبٌ والله ظاهرة وأد الكفاءات في مجتمعاتنا
الجاهلة.. ولكن لا غرابة!!

فالمتضرّرون من العلم الحقيقي والعلماء الحقيقيين هم
المسيطرون على مراكز القوّة في هذه المجتمعات وعلى منصّات
التأثير الإعلامي، وهم جهات خمس:

- ١- المستعمرون الأجانب.
- ٢- الحكومات الاستبدادية.
- ٣- العلماء الدنيويّون.
- ٤- أصحاب المال والترف والرفاه.
- ٥- أهل الجهالة والهوى واللاهثون خلف لذّة الشهوات.
هؤلاء هم من أهم الأسباب الحقيقيّة وراء معاناة
الشعوب في طول التاريخ، لأنهم المستفيدون حصريّاً من إبقاء
الشعوب في الجهل بالحقائق وكره الرجال الحقيقيين، لذلك
يعملون عبر قنواتهم السريّة على أن تبغض الشعوب جميع مَنْ
يسعى لإيقاضها من واقعها الظلاميّ الجاثم.

لهذا كانت الحرب على المرجع الشيرازي واسعةً وعبر
كلّ تلك الجهات الخمس، وقد استخدم فيها العدوّ الواعي
والجاهل المعادي أفدر أنواع الرذائل الأخلاقيّة والمعاصي ضدّ

الشفرافزف وطف أطفاعه فف فمفع المنافذ الاففماعفة والسفاسفة والمالفة والإعلامفة والدفنفة والحوزوفة.. فف فظهر بعض الأففاباف فطلق على فماعة هذا المرجع المظلوم كلمة «الفرفة الشفرافزفة» وفعنف بها ما فعرفف فمافقته!!

أفن هؤلأء من عذاب الله فعلى وقد قال الإمام الصافق عالفه: «مَنْ رَوَى عَلَى مُؤْمِنٍ رِوَايَةً يُرِيدُ بِهَا شَيْنَهُ وَ هَدَمَ مُرُوءِيَتَهُ لَيْسَ قَطُّ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ وَلايَتِهِ إِلى وَلايَةِ الشَّيْطَانِ فَلا يَقْبَلُهُ الشَّيْطَانُ» (٣٦).

لقد جرى ذات مرّة ففءف ففنف وفن أفء كبار الفقهاء فف حوزة قم المقدسة فعءءف له الفهاف الفف فاربف السفء الشفرافزف وذكرف له بعض القصص والإحصاءاف.. فقال لو كان بعض هذه الحرب عفف أنا لرفعف فءف بالأسفلام وأبصمف لهم بالعشرفة على الففنف عن الساحة!!

قد فسألنف لماذا هذه الحرب القءرة فسفف على الشفرافزف ومَنْ فكون ورافها؟

ذاف مرّة فرفف ففله ذاف السؤل مباشرة.. إقرأوا جوابه لف (رفع الله درفاته): إنّ الاسفعمار البرفطافن لما أفففه

٣٦- أصول الكافف - للكلفنف/ ج ٢ - ص ٣٥٨

صفعتان في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي؛ الأولى من
المجدد الشيرازي الكبير في ثورة التنبك بإيران، والثانية من
الميرزا محمد تقي الشيرازي في ثورة العشرين بالعراق، وهما
من أجدادي، فقد استنفر ضدي بكل قواه كيلا تأتيه الصفحة
الثالثة، فحركوا الناس المغفلين عبر العلماء الغافلين، وهم لا
يدرون عمق اللعبة ومن أين تُدار خيوطها!!

وسؤال آخر: كيف واجه المرجع الشيرازي المظلوم هذه
الحرب الشرسة وصبر على معاناته الشديدة؟

الجواب: واجهها بتفعيل خمسة عوامل كامنة الجذور في
شخصيته الإيمانية التي صنعها لوجه الله تعالى:

العامل: ١ - علمه الواسع وقدرته الفكرية الكبيرة وأطروحاته
العالمية.

العامل ٢ - أخلاقه العظيمة التي هزم بها كثيرًا من مناوئيه
وكسبهم إلى جانبه أو حيدهم.

العامل ٣ - سعيه الدؤوب في قضاء حوائج الناس من غير
فرق بين أحد منهم.

العامل ٤ - تأسيسه أسطولًا متناسقًا في الإعلام، مثل

الفضائيات ونشر الكتب وإرسال المبلّغين إلى أنحاء العالم.
العامل ٥- ترسيخ ثقافة العمل المؤسّساتي لجماعته وتعميمها
إلى الناس.

ألا يكفي هذا المعرفة عظيمة الشيرازي (رحمة الله عليه) ومعرفة
الخصاسة التي عومل بها ظلماً وعدواناً؟!!

المحطة الثانية..

هنا رسالة ذات شجون:

نعم.. فقد كان المرجع الشيرازي فرداً وتحول إلى جماعة ثم
إلى مشروع ثم إلى رسالة..

فلا زالت ذكره تُعيد في الذين عرفوه حق المعرفة روح
العمل بما رسمه من فكرٍ وهّاجٍ لإنقاذ أمة تائهة..

- فما أن نتكلّم عن (ثقافة اللاعنّف) ومعطياتها للفرد
والمجتمع.. حتى نتذكّر هذا المرجع الكبير...
- وما أن نكتب حول (دور التلاقي وعقد مؤتمرات
الحوار) لبلورة الحلول التأسيسيّة والتطويريّة حتى
نجد هذا المفكّر العظيم حاضرًا في وعينا...

● وما أن نقرأ عن قيمة (الأخوة) و(الوحدة) و(الشورى) و(التعاون الإيجابي) و(الأخلاق الحسنة) حتى ترسم صورة هذا الفقيه المجدد في ذهننا...

● وما أن نسمع عن (الإصلاح) و(التعايش) و(الفقه المتجدد) في الحياة حتى نرى الأمل في عودة الإسلام إلى واقع المسلمين أقوى مما كان عليه في نفوسنا...

ذلك لأنه كان وبكل وجوده قراءة أصيلة في الإسلام الحق ومتواصلة من أجل إعادة الإسلام إلى حياة المسلمين، ولقد ضحى لأجل هذا المشروع الرسالي العظيم براحته الشخصية وسمعته التي لعب فيها الحساد والجهال قابلاً بالتفاني في سبيل الله بما آتاه الله من كل نعمة وصابراً على كل ظلم وجهل وأذية، حتى شمل هذا الظلم والمعاناة والأذى عائلته الكريمة وجميع أتباعه ومحبيه. وقد كان في كل ذلك على خطى أسوته سيّد الشهداء أبيّ الضيّم أبي الأحرار الإمام المظلوم الحسين بن علي عليه السلام.

هكذا هم العظماء عندما يتحملون المضايقات والانتهاكات كي يورثوا شعوبهم وأممهم وأجيالها تراثاً في الاعتدال والإصلاح والإنقاذ يغنيها عن كل المدارس الحشوية، وعن

كُلّ المذاهب القشريّة، وعن كلّ الأفكار المتطرّفة والطفيليات المتسلّقة.

وإنّما يفقه هذا الحديث عن الشيرازي جيل يقرأه بعين الحرية والإنصاف قراءةً مفتوحةً على الصدق والإخلاص وعلى الهدفية في تغيير الحياة نحو الأفضل ولو كره الجاهلون.

وأنا أشرف على نهاية هذا الكتيب النافع بإذن الله أقدم لكم ما نقله لي الخطيب الشهر صهره سماحة السيّد محمد باقر الفالي (حفظه الله) من أنّ المرجع الديني المعروف السيّد المرعشي النجفي جاء ذات مرّة إلى زيارة المرجع الشيرازي (رحمة الله عليهما) في منزله.. وبعد أن تبادل الطرفان آراءهما في مواضيع شتى قام السيّد المرعشي مودّعاً وأنار افقته إلى باب المنزل. وهناك قال لي السيّد: قلبي يتفطرّ على هذا السيّد أن لا نعرف مكانته العظيمة.. وأسفي أن الناس سيعرفونه بعد قرنين من الزمان!!

هذا التألم الذي نطق به المرجع المرعشي رحمته هو ما جعلني قبل أربعة عشر عاماً أكتب كتابي المعروف: «التسقيط.. معصية كبيرة وظاهرة خطيرة» في ٦٨٨ صفحة. عملاً بدعاء مولاي الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ

مِنْ مَظْلُومٍ ظَلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ» (٣٧).

ولكنّ الألم الأكثر إيجاعاً لقلوبنا والأكثر فتكاً بنهج المرجع الشيرازي المظلوم ثُمَّ هو الجهل الذي لم نكن نتوقّعه يوماً أن يخرج من داخل المحسوبين عليه من جيل لم يقرأ منظومته الفكرية المتناسقة التي تعب لأجلها عمراً كاملاً..

ولقد زاد في الطين بلةً خطر المتقمّصين خطه والمتاجرين بنهجه الذين يؤمنون ببعضه اسماً وصورةً ويكفرون ببعضه الآخر رسماً وحقيقةً!!

وقد أنتجت هذه الخلطة المشبوهة حالةً من التطرف بحجة البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام، وحالةً من التصادم ضدّ الداخل الشيعي بحجة التنقية ممن ولايتهم لأهل البيت ضعيفة، وحالةً من بذاءة اللسان على وكلاء السيّد الشيرازي نفسه بحجة أنهم لم يعرفوه جيّداً وعليهم أن يسكتوا وإلاّ نهشوا فيهم بأنياب التشهير وسهام التسقيط!!

وكأنّي بهذا المرجع المفكّر قد تنبأ لظهور هذه السفاهة يوم كتب عنها وعمّا يقابلها من عقلانيةٍ قائلاً: «إِنَّ أَعْقَلَ النَّاسِ مَنْ يَجْعَلُ الْأَعْدَاءَ أَصْدِقَاءَ، وَالْأَصْدِقَاءَ أَوْفِيَاءَ. وَإِنَّ

أسفَه الناسَ مَنْ يجعل الأوفياءَ غير أوفياء ويجعل الأصدقاءَ أعداء!! (٣٨)

ونستخلص القول بأنّ الجهل الذي قوبل به مشروع الإمام الشيرازي (قدّس الله نفسه الزكيّة) يمكننا بيان أنواعه في ثلاثة:

١- جهل بعض الشيعة والعلماء من خارج دائرة جماعته، وقد أخذ هذا الجهل في الأفول من بعد رحيله المفجع ورحيل نجله آية الله السيّد محمد رضا الشيرازي، حيث عرف كثيرون الحقيقة لما انفجرت حسب قوله لي قبل رحيله بشهرٍ واحد حينما سألتني ما الأخبار الجديدة؟ فقدّمتُ له تقريراً موجزاً عن الإنجازات الجيدة ثم أضفتُ عن جهل مناوئيه وأذاهم لنا بفجورهم في الخصومة!! فدمعتُ عيناه وقال: بعد شهر ستنفجر الحقيقة!!

وإذا فُجِعنا بنبأ رحيله بعد الشهر الذي حدّده!!

هكذا هم أولياء الله الذين يعرفهم أهل المعرفة. وقد اكتشفه متأخراً كثير ممن كانوا يجهلون حقيقة هذا السيّد المظلوم حتّى جئني بعضهم معذراً يستغفر الله مما اقترفه من إساءات تجاهه.

٢- جهل بعض محبيه الذين اكتفوا بحبه وتعليق صورته ولم يقرأوا كتبه أو لم يستمعوا إلى تسجيلاته الصوتية لمعرفة آرائه المترابطة التي تكمل بعضها بعضاً.

٣- جهل المتطرفين ممن يتبنون المدرسة الشيرازية - حسب زعمهم - ويهارسون خلاف مبادئ مؤسسها.

في تصوّري إنّ جهل هؤلاء المتطرفين هو الأخطر والأدمر.. وهو معوّل هدم من الداخل لكل ما بناه الشيرازي الراحل، وهو ما يجعلنا نشك في وجود أيادٍ استعمارية تحركهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون لتخريب مدرسة الشيرازي الريادية المتوازنة، وهو ما كان سماحته يخشاه من ضربة الإنجليز له، وقد جاءت في ثوب كثوب الذين ضربوا نهج رسول الله ﷺ باسمه وخطفوا الإسلام إلى طريق آخر!!

ويقوي لدينا هذا الشك نظراً إلى أنّ الشيرازي بعد رحيله قد كسب الكثير ممن جهلوه وزادت جماهيريته، فخشي الاستعمار من صعود هذا النجم العظيم وحدوث الصفحة الثالثة في ظل مرجعية شقيقه المرجع الرباني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظلّه العالی) وبرز نجله الأكبر سماحة آية الله السيد محمد رضا الشيرازي (أعلى الله درجاته)

فقام بمنح تسهيلات كبيرة للجهلة من النوع الثالث الذي سحب معه بعضاً من جهلة النوع الثاني ليمارسوا التفرغ من الداخل!!

كتبتُ مئات المقالات والحوارات والبيانات لفضح هذه المؤامرة الفتاكّة، وهي الآن مجموعةٌ في كتاب قديوازي حجمه حجمَ كتابي «التسقيط» الذي نشرته لتنفيذ ظاهرة الجهل من النوع الأوّل!!

مع العلم أنّ هذا الخطر الداخلي - والله الحمد- لم يؤثّر أثره المدمر الكبير بعد أن تصدّى له أنجال المرجع الشيرازي الراحل بمساندة كبار الوكلاء المعتدلين الواعين لمدرسته. لأن الله وبسنّته في التاريخ لن يسمح للمتسلّقين أن ينجحوا في تحريف مسيرة المخلصين له عزّ وجلّ. وهذا ما أشار إليه المرجع الشيرازي (أعلى الله درجاته) في كتابه (فلسفة التاريخ) قائلاً: «جعل الله سبحانه وتعالى لكل من الاقتصاد والاجتماع والتربية والفكر والثقافة موازين خاصة، فإذا خالف كائن ذلك الميزان، اصطدم بموازين الله وسننه؛ ليتحطّم ويفنى»^(٣٩).

فلا يصحّ إلا الصحيح.. وكما قيل أيضاً: قد تستطيع أن

٣٩- فلسفة التاريخ - المرجع الشيرازي/ ص ٢٦

تخفي نور الشمس لبعض الوقت ولكن لن تستطيع أن تخفيها
في كل الوقت!!

والمرجو كما وجد الإمام الشيرازي نفسه في ضرورة النجاح
وسعى لها سعيها المبارك كذلك يجب على من يتتهج نجاحه أن
يسعى سعيه.. وجاء في ذلك من الشعر ما قاله الشاعر العربي
محمد بن هانئ الأندلسي:

وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعِيهِ
فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرًا
وَبِالْهَمَّةِ الْعَلِيَاءِ يَرْقَى إِلَى الْعُلَا
فَمَنْ كَانَ أَرْقَى هَمَّةً كَانَ أَظْهَرَ
وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ يُرِيدُ تَقَدُّمًا
وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ يُرِيدُ تَأْخُرًا^(٤٠)

٤٠- مجمع الحكم والأمثال - أحمد قبش / ص ٢١٧.



الخاتمة

وحيث أختتم بحثي هذا فإنّ أملي بالله كبير بعد مرور سبعة عشر عامًا على رحيله أن يجد الشيرازي العظيم أهدافه الإلهية قد نالت مكانتها الطبيعية في حياة الأمة بإحياء الإسلام في وعيها وسلوكها.

فعلى الأوفياء أن يكافحوا جميع أنواع الجهل بسلاح القراءة والكتابة وحبّ الكتاب والعلم.. ففي ذلك تقوية للعقل الذي عبّده الرحمن واكتسب به الجنان - كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام^(٤١) - وعن جدّه الإمام علي عليه السلام أيضًا قال: «العقل يَهْدِي وَيُنْجِي، وَالْجَهْلُ يُغْوِي وَيُرْدِي»^(٤٢).

٤١- الكافي - الشيخ الكليني / ج ١ - ص ١١

٤٢- نهج البلاغة - الشريف الرضي / خطبة ١٨٤.

فلو أننا صرنا كذلك فسنبلغ إلى ما أحبه الإمام الصادق عليه السلام لنا حيث قال: «إِنَّا لَنُحِبُّ مَنْ كَانَ عَاقِلًا فَهَمًّا فَفِيهَا حَلِيمًا مُدَارِبًا صَبُورًا صَدُوقًا وَفِيًّا. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ الْأَنْبِيَاءَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ وَ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْيَتَضَرَّعْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيَسْأَلْهُ إِيَّاهَا». قَالَ -الراوي- قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَ مَا هُنَّ؟ قَالَ: «هُنَّ الْوَرَعُ وَ الْقِنَاعَةُ وَ الصَّبْرُ وَ الشُّكْرُ وَ الْحِلْمُ وَ الْحَيَاءُ وَ السَّخَاءُ وَ الشَّجَاعَةُ وَ الْغَيْرَةُ وَ الْبِرُّ وَ صِدْقُ الْحَدِيثِ وَ آدَاءُ الْأَمَانَةِ»^(٤٣).

وما أحوج هذه الأمة الضائعة وأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام خاصة إلى فقيه بهذه الصفات والمواصفات.. وهي خصالٌ جامعةٌ الفضائل ومانعةٌ الرذائل ولا تأتي لأحد إلا من خلال كثرة القراءة.. وكثرة العلم والتفكير والدراسة.. وكثرة العبادة وجهاد النفس إلى بلوغ التقوى وكمال العقل.

هذا ما كان عليه أستاذنا الفقيه الموسوعي الكبير سماحة المرجع السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره).

كيف لا وهو الذي تربى في مدرسة محمد وآل محمد عليهم السلام حتى بلغت شخصيته درجة ما روي عن الإمام علي بن

٤٣- وسائل الشيعة - الحر العاملي / ج ١٥ - ص ١٩٨

موسى الرضا عليه السلام في قوله الحكيم: «لا يتم عقلُ امرئٍ مسلمٍ حتى تكونَ فيه عشرُ خصال: الخير منه مأمول ، والشَّرُّ منه مأمون ، يستكثر قليل الخير من غيره ، ويستقل كثير الخير من نفسه ، لا يسأم من طلب الحوائج إليه ، ولا يملّ من طلب العلم طول دهره ، الفقر في الله أحبّ إليه من الغنى ، والذلّ في الله أحبّ إليه من العزّ في عدوّه ، والخمول أشهى إليه من الشهرة». ثم قال عليه السلام: «العاشرة وما العاشرة!!» قيل له: وما هي؟

قال عليه السلام: «لا يرى أحدًا إلا قال: هو خيرٌ مِنّي وأتقى، إنّما الناس رجُلان: رجلٌ خيرٌ منه وأتقى ، ورجلٌ شرٌّ منه وأدنى ، فإذا لقي الذي شرٌّ منه وأدنى، قال: لعلّ خيرٌ هذا باطنٌ وهو خيرٌ له ، وخيري ظاهرٌ وهو شرٌّ لي ، وإذا رأى الذي هو خيرٌ منه وأتقى تواضع له ليلحق به ، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده ، وطاب خيره ، وحُسنَ ذكْرُه ، و سادَ زمانُه»^(٤٤).

في عصر ما بعد رحيل هذا المرجع المجدد الكبير قد تتقدّم الحاجةُ إلى هذه القيم جميع الحاجات البشرية الأخرى.. فالدمار الذي نشاهده على كافة المستويات والمجالات لا يوقفه إلا

ءءوءة الففرفازف وأمئاله الففابعءة من عمق الإسلام ءول الففوءة
نءو الففراءة الففصءفءة للعلم والأءلاق والأءءمة والعقلانففة
ثم العمل بها فف واقع الممارسة. وءلك هو قول ربنا العرفزف فبارك
وعالى فف بفانه لأءءاف البءءة النبوءفة الشرففة الفف ءسءءها
سفرة رسوله الأمين ﷺ: ﴿هُوَ الَّذف ف بَعَثَ فف الْأُممف ف رَسُولًا
مِنْهُمْ ففءَلُوا عَلفهم آفانَه فف فزَكفهم ففَعَلَّمهم الْكفءَابَ وَالءِءْمَمَة
وَإف كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفف ضَلالِ مُبف فف * وَأءرف فف مِنْهم لَمَّا ففءَقُوا
بهم وَهُوَ الْعرفزُ الْءِءفم﴾ (٤٥).

فلنءن من الآءرف فف ففءق بالأولف فف ءلال رفع
هءا الشعار عنوانًا للففافء: إقرأوا الكف ففءموا.

أما فففنا أن أول كلمة أطلقها الوءف الإلهف فف أءن
النبف المصطفف ءمء ﷺ هف كلمة: ﴿أقرأ باسم ربك الذي
ءَلَق﴾ (٤٦).

لن فكون لنا ولأمءنا وبلءانا عوءةً إلى مءءها الإسلامف
المءمءف الأصفل إلا بالعودة إلى فلك الففراءة الربانففة ﴿باسم
ربك﴾ ءءزء لنا ففءزاً عن أعمالنا الففومفة.. وهف الففراءة

٤٥- سورة الجمعة / ٣ - ٢

٤٦- سورة العلق / ١

بالطريقة التي صنعت شخصية نابغة العصر سلطان المؤلفين
الفقيه الموسوعي الرائد سماحة المرجع الكبير السيد محمد
الشيرازي (أعلى الله درجاته) النموذج الوافي والكافي للأجيال
المتطلعة إلى خير أداءٍ لأداء الخير.

يموت العظماء ويبقى أثرهم مشعل هداية.. فلا نظلم
أحدًا منهم فنظلم أنفسنا ومجتمعاتنا.. والله لن يغفر لمن يئد
سمعة الذين ضحوا لأجل دينه وتجرعوا الأذى في سبيله..
اولئك الذين قال فيهم: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا
عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا
بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(٤٧).

فلنحیی ذکری عظمائنا فی حياتهم وبعد مماتهم لنكون أمةً
في طليعة الخير والوفاء.. نبنى أمجادنا بعقلانية التفكير والسعي
الخالص لوجه الله في التغيير وجميل الإنجاز والتطوير.. ولا
نلقي هذا الواجب الشرعي والحضاري على الله تعالى وهو الذي
قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٤٨).

ولتتعلم من أدب مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام الذي

٤٧- سورة الأحزاب / ٢٣

٤٨- سورة الرعد / ١١

قال في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظَلَمْتُ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمِنْ مَعْرُوفٍ أَسَدَيْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَشْكُرْهُ، وَمِنْ مُسِيءٍ اِعْتَدَرَ إِلَيَّ فَلَمْ أَعْدِرْهُ، وَمِنْ ذِي فَاقَةٍ سَأَلَنِي فَلَمْ أُؤْتِرْهُ، وَمِنْ حَقِّ ذِي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِنٍ فَلَمْ أَوْفِرْهُ، وَمِنْ عَيْبٍ مُؤْمِنٍ ظَهَرَ لِي فَلَمْ أَسْتُرْهُ، وَمِنْ كُلِّ إِثْمٍ عَرَضَ لِي فَلَمْ أَهْجُرْهُ. اِعْتَذِرُ إِلَيْكَ يَا إلهي مِنْهُنَّ وَمِنْ نَظَائِرِهِنَّ اِعْتِذَارَ نَدَامَةٍ يَكُونُ وَاِعْظَامًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَشْبَاهِهِنَّ. فَصَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ نَدَامَتِي عَلَيَّ مَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الزَّلَّاتِ وَعَزَمِي عَلَيَّ تَرَكْتُ مَا يَعْرِضُ لِي مِنْ، السَّيِّئَاتِ تَوْبَةً تُوجِبُ لِي مَحَبَّتَكَ يَا مُحِبَّ التَّوَّابِينَ» (٤٩).

«اللَّهُمَّ ادْخُلْ عَلَيَّ قَبْرِ سَيِّدِنَا الْأَسْتَاذِ كُلِّ السَّرُورِ، وَبَشِّرْ رُوحَهُ الْفُوزِ وَالْحُبُورِ، وَأَحْسِنْ عَوَاقِبَنَا بِالتَّوْفِيقِ إِلَى صَالِحِ الْأُمُورِ، وَارْحَمْ جَمِيعَ مَرَاجِعِنَا الْمَاضِينَ وَاحْفَظْ جَمِيعَ مَرَاجِعِنَا الْحَاضِرِينَ.. ثُمَّ عَجَّلْ فَرَجَ مَوْلَانَا الْحَجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ الْمَهْدِيِّ.. بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ».

الفهرس

المقدمة ٥

المحور الأول: وفيه ثلاث ركائز

الركيزة الأولى ١١

أولاً.. القراءة بوصفها البداية للانطلاق: ١١

ثانياً.. القراءة بوصفها من الواجبات الحضارية: ١٥

المقال الأول: ١٧

المقال الثاني: ٢٠

الركيزة الثانية:

الشيرازي والقراءة التأسيسية ٢٥

الركيزة الثالثة:

الشيرازي وسلوكه الشغوف بالقراءة ٣٣

القصة: (١) ٣٣

٣٥	القصة: (٢)
٣٦	القصة: (٣)
٣٧	القصة: (٤)
٣٨	القصة: (٥)
٣٨	القصة: (٦)
٣٩	القصة: (٧)
٤٢	القصة: (٨)
٤٣	القصة: (٩)
٤٣	القصة: (١٠)
٤٤	القصة: (١١)
٤٧	القصة: (١٣)
٤٩	القصة: (١٤)
٥٢	القصة: (١٥)

المحور الثاني: وفيه ثلاث ركائز

الركيزة الأولى:

٥٧..... الموسوعيّة في قراءة الشيرازي

الركيزة الثانية:

٦٥..... وفيها ثلاث نقاط

النقطة الأولى:

٦٥ استراتيجية الشيرازي الفكرية (رقم ١)

النقطة الثانية:

٧٣ استراتيجية الشيرازي الفكرية (رقم ٢)

النقطة الثالثة:

استراتيجية الشيرازي الفكرية (رقم ٣) ٩٤

الركيزة الثالثة:

وفيها محطتان: ١٠٥

المحطة الأولى:

١٠٥ معاناة الشيرازي في ظل الجهل به

١١٦ المحطة الثانية

١١٦ هنا رسالة ذات شجون:

الخاتمة ١٢٥





